جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية
قسم العلوم الإنسانية

محاضرات في مادة:

التواصل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر

تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الدكتور عبد النبيل براني

تخصص التاريخ الوسيط

السنة الجامعية 2025/ 2026

بسم الله الرحمان الرحيم

اسم المادة: التواصل التفافي بين المشرق والغرب الإسلامي

الرصيد: 4	المعامل: 2	طريقة التقييم 50 $\%^0$ امتحان كتابي، 50 $\%^0$ أعمال موجهة

– التعرف على الروابط الثقافية بين الغرب الاسلامي والمشرق الاسلامي.

– الوقوف على مظاهر الصلات الثقافية بين قطري العالم الإسلامي (الغرب والمشرق الإسلاميين)

– إدراك دور التواصل الثقافي في تكامل القطرين وأثر الجانب الثقافي على باقي مجالات الحياة في المجتمع الاسلامي.

المعارف المسبقة المطلوبة: (وصف تفصيلي للمعارف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر).

– المعارف المتعلقة بالروابط الثقافية بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي، (اللغة الدين، الحركة العلمية ورجالاتها، الرحلة ودورها في الروابط الثقافية، كرحلة الحج، الرحلة العلمية، الرحلة التجارية، المناهج التعليمية، العلوم المتداولة، المذاهب والفرق، العمارة الإسلامية، الحواضر الإسلامية ودورها في الروابط الثقافية بين قطري العالم الإسلامي.

محتوى المادة:

(إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب)

– تحديد جغرافية قطري العالم الإسلامي (الغرب، المشرق) مع التركيز على خصائص ومميزات كل قطر.

– أثر الفتوحات الإسلامية في الروابط الثقافية بين القطرين (نشر الدين الإسلامي، اللغة العربية، النظم الإسلامية، العمارة الإسلامية...)

– الحركة العلمية ودورها في التواصل الثقافي بين الغرب والمشرق الإسلامين (العلوم المتداولة ومناهجها، المؤلفات العلمية، العلماء...)

– المذاهب والفرق وتأثيراتها الثقافية بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي.

– الحواضر الإسلامية ودورها في الإشعاع العلمي بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي (مكة، المدينة، بغداد، دمشق، القيروان، بجاية، تلمسان، فاس، مراكش، قرطبة، غرناطة...)

– العمارة الإسلامية مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي (المساجد، الربط، الزوايا، القصور، القلاع، الحصون...).

المراجع: (كتب، ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)

– الشهرستاني (ت 548هـ)، الملل والنحل (ثلاثة أجزاء)، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1968. [والجزء الأول والثاني ضمن مجلد واحد، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.

– القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس (1965م).

– عبد الرحمن ابن خلدون، ترجمان العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ،سنة 1421هـ/2000م.

- ابن عذاري، (كان حياً سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س.كولان، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط.1 (2009م)، ج. 2، ج3.

- محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق و تعليق وتقدم ،المنتصر الكتاني ،مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ، ب ط،1985م.

- المقري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت.1041هـ/1231م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس،بيروت1388هـ/ 1968م.

- النويري (ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج24،تحقيق د. حسين نصار ومراجعة د. عبد العزيز الأهواني، القاهرة1403هـ/1983م.

- بنيامين الُتُطيلي، رحلة إلى المشرق، تحقيق وترجمة إنجليزية من عمل، ماركوس ناتان آدللر إعادة طبعة لندن 1907م، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطارات جامعة فرانكفوت- جمهورية ألمانية الاتحادية، 1416هـ /1995م.

- حسن أحمد محمود، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ط. الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي 1416هـ/1995م .

-حسن حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدي مكتبة الخانجي للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، 1980م.

- ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م)،كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط.2 ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.

- البكري (ت487هـ/1094م)،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، طبعة مكتبة المثنى ببغداد (د.ت). وطبعة باريس، نشر البارون دي سلان، 1965م.

- الجاحظ (ت225هـ/ 909م) الحيوان، تحقيق يحي الشامي، منشورات دار مكتبة الهلال بيروت، ط3، 1990.

-رحلة عبد الباسط بن خليل.

-التشوف إلى رجال التصوف للتادلي.

-كتاب المناظرات للقاضي النعمان.

-الأحكام السلطانية للماوردي.

-المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي.

-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري.

-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري.

-كتابي سير أعلام النبلاء وتاريخ الاسلام للذهبي.

- الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز لعواطف محمد يوسف نواب.

- كتاب أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، ليبيا، 1995م.

- معالم الايمان في معرفة علماء القيروان للدباغ وابن ناجي.

- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم.

- تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني.

- الصلات الثقافية بين بلدان المغرب العربي لعثمان الكعاك.

ـ تاريخ المغرب والاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة دار الفكر العربي

- حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الاندلس في عصر الامارة الاموية ، ط1 ، مؤسسة شباب الجامعة

- حمدي عبد المنعم ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس ، دار المعرفة الجامعية 1998م .

- جوستاف لوبون، حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998 م .

- خالد عبد الكريم، النشاط الاقتصادي في الاندلس ، دار الفجر للنشر والتوزيع 1995.

- خالد بن محمد القاسمي ، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1998م.

- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، 2000.

- سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة، الأموية عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2000.

- سعدون عباس ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس ، ط1، دار النهضة العربية .

- سعدون عباس، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ط1، دار النهضة العربية .

- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى (جزءان) مكتبة الأنجلو المصرية 1986 م.

- عبادة كحيلة ،المغرب فى تاريخ الاندلس والمغرب ، القاهرة ، ط2 2000 م.

- علي محمد جودة، تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، القاهرة 1957م.

- محمد القاضي ، موسى بن نصير فاتح المغرب وبلاد الأندلس دار التوزيع والنشر الإسلامية.

-Brunchvic R La Berberie Orientale sous les Hafsides Des Origines à la fin du 15emeSiècle,Tome.,I(Paris,194,

-Dunlop D.M, Arabic Science In the West, (Karachi,1965.

-Golvin L, Le Magrib Central à L'Epoque Des Zirides, (Paris,1957.

-Goitein S.R,A Mediterranean Society, In 4 Vols,(University of California Press,1967). -Ibid, Letters of Medieval Jewish Traders

Translated from the Arabic with an Introduction and notes". (Princeton University Press1973.

-Grunebaum,G.E Von,Medieval Islam :A Study in Cultural Orientation,2nd Ed,Chicago,(U.S.A,1953.

-Holt M.P, Lambton A.K.S, The Cambridge History of Islam. In 2 Vols,(Cambridge,1970.

-Hopkins.J.F.P, Medieval Muslim Goverment in Barbary, Until the sixth century of the Hijra, (London,1958.

-Schacht J.and Bosworth C.E,The Legacy of Islam, (Oxford,1931

– J Caille. LES Marseillais aceuta 2000.

-VEMET, R, Les relations entre Le Maghreb et la peninsuleiberique

YVer ,G, Le Commece et les marchands dans Litaliemeridionale

حول المادة والمصادر والمراجع:

تتناول هذه المادة ظاهرة التواصل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط وظاهرة التواصل الثقافي لها أهمية كبيرة في الروابط الحضارية بين الشعوب المختلفة والمتباعدة وبين الشعوب في إطار الأمة الواحدة والواسعة، فبفضل التواصل تمكن الانسان من تحقيق تطور علمي وفكري، خاصة إذا كان بين منطقتين تربطهما روابط كثيرة، دينية، ولغوية، والمصير المشترك، والامتداد الجغرافي الواحد.

ينقسم محتوى المادة الى قسمين، القسم الأول يتناول عوامل التواصل الثقافي بداية من الفتح الإسلامي وإنشاء المدن الإسلامية ، ثم الرحلة العلمية ورحلة الحج، وحركة العلماء بين البلدين، مرورا بالإجازة العلمية والمناظرات العلمية، أما القسم الثاني فيتناول مظاهر التواصل الثقافي في المجال الديني، والعلمي، والفني ومعماري.

ولقد تم الاعتماد على مصادر متنوعة، مشرقية ومغربية، أحيلت إليها المعلومات الواردة في المحاضرات، أما المراجع فمؤلفات وبحوث متنوعة تم الاستئناس بآراء أصحابها، مع الحرص على تنويعها لباحثين ومؤلفين مغاربة ومشارقة، مما يتيح للطالب التعرف على كم كافي من مصادر ومراجع المادة لإنجاز البحوث في الأعمال الموجهة.

والله ولي التوفيق

تمهيد: مفهوم التواصل الثقافي

في اللغة يقال: ثقفت القناة إذا أقمت عوجها، ورجل ثقف لقف، وذلك أن يصيب علما ما يسمعه على استواء[1]. وأصل الثَقافة في اللغة العربية مأخوذ من الفعل الثلاثي (ثقف) بضم القاف وكسرها، وتطلق في اللغة على معانٍ عدة، فهي تعني: الحذق، والفطنة، والذكاء، وسرعة التعلم، وتسوية الشيء، وإقامة اعوجاجه، والتأديب، والتهذيب، والعلم، والمعارف، والتعليم والفنون. قال ابن فارس:((ثقف الثاء، والقاف، والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع وهو إقامة درء الشيء، ويقال: ثقفت القناة إذا أقمت عوجها[2])).

فالثقافة في اللغة هي: الفهم، وسرعة التعلم، وضبط المعرفة المكتسبة في مهارة، وحذق وفطنة[3].

وأما **الثقافة اصطلاحا**: فنستطيع ان نعرفها بأنها العلم، والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة وجملة العلوم والمعارف، والفنون التي أنتجتها أمة من الأمم طيلة تاريخها الطويل ورسمت من خلالها ملامح شخصيتها الحضارية[4].

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (711هـ/ 1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت، ج.9 ص. 319.

[2] ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكرياء (ت. 395هـ/ 1004م): معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، د. ت، مج.1 ص382

[3] ميشال عاصي، إميل بديع: المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1978، ج. 1 ص. 476.

[4] حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص. 317، 318.

والتواصل كلمة مشتقة من الجذر وصل، ويدل على معاني كثيرة، فوصلت الشيء وصلا وصلة، والوصل ضده الهجران، ووصله إليه وأوصله أنهاه إليه وأبلغه إياه، والتواصل من الوصل وهو ضد الانقطاع، ووصلت الشيء وصلا وصلة، والوصل أيضا هو خلاف الفصل[1]. ومنه فإن التواصل في اللغة العربية يفيد الاقتران، والاتصال، والصلة، والترابط، والالتئام، والجمع والإبلاغ، والانتهاء والإعلام.

وأما اصطلاحا فإن التواصل الثقافي هو تبادل المعارف والعلوم والتجارب، والتأثير المتبادل عن طريق التعارف والحوار بين ثقافات متجاورة، أو بين أقاليم الثقافة الواحدة. والتواصل الثقافي في الأمة الإسلامية يتمثل في التبادل الفكري والفني والعلمي بين شعوبها، وتأثير حضارتها على العالم، وهو يعتمد على الهوية الإسلامية المشتركة، ويتم تعزيزه عبر التاريخ من خلال رحلات العلماء والصلات بين أقاليم العالم الإسلامي، فالتواصل الثقافي اذن هو عملية حضارية متكاملة، وهي ضرورة إنسانية وحضارية.

ويعود التواصل على الأمة بفوائد كثيرة فهو يساهم في تعزيز تماسكها ووحدتها، وتقارب مجتمعاتها ثقافيا وفكريا، وهو من الظواهر الهامة التي تساعد على التطور والازدهار الثقافي فقد كان هذا التأثير المتبادل أحد الركائز الأساسية في ازدهار الحياة العلمية والفكرية في الأمة الإسلامية بصفة عامة، ففي العصر الوسيط لم تكن الحدود السياسية والجغرافية تمثل عائقا وحائطا امام العلماء وطالبي العلم من المسلمين لاختيار المركز العلمي الذي يودون الدراسة

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ج.11، ص. 726.

فيه وحتى الاستقرار فيه، بل كان لطالب العلم الحرية الكاملة في اختيار العلماء والمراكز العلمية التي يفضلون البقاء فيها حسب المكانة الدينية والعلمية.

المحور الأول:

جغرافية المغرب والمشرق الإسلامي

الخصائص والمميزات

1ـ المغرب الإسلامي:

إن بلاد المغرب هي تلك المساحة الممتدة من مصر إلى البحر المحيط (المحيط الأطلسي) إلا أن الجغرافيين عبر الأزمنة عرف بعضهم بلاد المغرب بشكل مجمل والبعض الآخر بشكل أكثر تفصيلا وتخصيصا، فجاء ذكر بلاد المغرب على أنها الامتداد الجغرافي الذي يبدأ من قرية السلوم وهي قرية صغيرة غرب الإسكندرية في الجهة الشرقية لمصر، إلى البحر المحيط الغربي ومن ساحل مصر وإفريقية الذي يطل على بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) إلى جنوب الصحراء الكبرى، التي تسمى ببلاد السودان جنوب الصحراء، وقد قال عنها صاحب نزهة الأنظار أنها تطل على البحر المظلم في جهة الغرب وقصد بذلك المحيط الأطلسي[1].

ويظهر هذا الاختلاف في الحدود دون إدخال الأندلس للمجال الجغرافي للمغرب، فهذه المنطقة تبدأ من ضفة نهر النيل غرب الإسكندرية إلى البحر المحيط (الأطلسي)، وتبدأ بذلك من شرق الإسكندرية إلى المجاز (مضيق جبل طارق) المقابل للأندلس في الشمال على بحر الروم إلى جبال الأطلس جنوبا.

ومن جهة أخرى يتسع مدلول المغرب فيشمل من مصر إلى الأندلس، ويقسم أصحاب هذا المدلول المغرب إلى قسمين: قسم اصطلحوا على تسميته بالمغرب الشرقي، وقسم بالمغرب الغربي، فابن حوقل اعتبر[2] أن للبحر جانبان شرقي وغربي، وقصد بالشرقي الأندلس والغربي بلاد المغرب، ومنه فالقسم الغربي ومن ضمنه مصر وبرقة هو الحد الفاصل في معظم المصادر

---

[1] محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح. علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1988، مج. 1، ص.43.

[2] ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت. 377هـ/ 988م)، صورة الأرض، ليدن، هولندا، 1938، ص. 60 .61

بين الشرق والغرب، وأما الإصطخري[1] فالقسم الشرقي عنده هو بلاد المغرب من حدود برقة إلى البحر المحيط، ثم ذكر القسم الغربي وذكر بلاد الأندلس. ويظهر لنا أن المؤرخين اتفقوا في ضم الأندلس إلى بلاد المغرب، لكن لم يتفقوا في تسمية القسم الشرقي والقسم الغربي، وقد وافقهم المقدسي[2]في ضم الأندلس وغرب الشام إلى المغرب، وكذلك ضم مصر لإقليم المغرب، ومنه يتسع المصطلح مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتغير مركز الخلافة.

ويرجع تقسيم الدولة الإسلامية إلى مشرق ومغرب إلى أيام الخليفة العباسي المهدي، الذي قسم الأقاليم على أبنائه، فعهد إلى الهادي بولاية العهد، وولى هارون الرشيد في سنة 163هـ/ 779م ولاية المغرب كله، ومنه فبلاد المغرب هي النصف الغربي للدولة الإسلامية. وقال فيها مقديش[3] أن الإسكندرية مصرية مغربية، وحد بلاد المغرب بغروب الشمس ونهايتها في الجنوب إلى الصحراء المتاخمة لبلاد السودان وفي الشمال بلاد الأندلس. وذكر ذلك ابن خرداذبه[4] بأن قبل أهل المغرب وإفريقية تصل إلى الركن الشامي وقصد بذلك مركز شروق الشمس بنسبة للمغرب. غير أن صاحب الاستبصار[5] قسم بلاد المغرب إلى قسمين، قسم ساحلي والآخر داخلي صحراوي، وذكر أن الساحلي محاذي لبحر الروم من الإسكندرية إلى طرابلس حتى يصل إلى طنجة على بحر الظلمات، أما الصحراوي فمن مدينة الإسكندرية إلى جبال الأطلسي ومدن السودان الغربي. ومنه ويستنتج أن بلاد المغرب شكلها رباعي أضلاعه جبال الأطلس وهي قسمان ساحلية وداخلية، تطل شمالا على بحر الروم، وغربا على

---

[1] الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت. 346هـ/ 957م) المسالك والممالك، تح. محمد جابر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت، 33.

[2] المقدسي، أبو عبد الله محمد (ت. 380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة دار صادر، بيروت، ص. 216.

[3] مقديش، المصدر السابق، ص. 43.

[4] ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله (ت. 280هـ/ 893م): المسالك والممالك، دار صادر أفيست ليدن، بيروت 1889، ص. 85.

[5] مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1985، ص. 109.

البحر المحيط، وجنوبا رمال الصحراء الكبرى. ومن المرجح أن سبب الاختلاف في الحدود بين المؤرخين يعود إلى جعل مصر ضمن حدود المغرب الإسلامي، وبسبب الخلاف حول حدودها الغربية، فهنالك من يعتبر إقليم برقة ضمن حدود مصر ، وهناك من يجعلها في بلاد المغرب.

التسمية:

أطلق المؤرخون على مر التاريخ أسماء مختلفة على بلاد المغرب، فقد كان الإغريق يسمون القسم الشمالي من قارة إفريقيا باسم ليبيا، وأطلق هيرودوت لفظ أفريكا على كل ما يلي مصر غربا حتى المحيط، كما استعمل كلمة ليبيا أثناء سرده لمنبع النيل[1] ، وهذا يدل على أن المنطقة لم تعرف باسم المغرب إلا بقدوم الفاتحين العرب المسلمين. وأخذ الرومان عن الفينيقيين التسمية، وأطلقوا اسم ولاية افريقية البروقنسلية Africa Provincia على قرطاجة وما حولها، إلى غاية المناطق المطلة على المحيط الأطلسي، لتتسع التسمية أكثر في العهد البيزنطي، فكانت افريقية البيزنطية تشمل كل من دخل في طاعة الوجود الروماني، في المنطقة من شرق برقة إلى غرب طنجة، محتلة بذلك الشريط الساحلي للبحر الذي أطلق عليه العرب تسمية بحر الروم.

وذكر ياقوت الحموي[2] أن إفريقية اسم يدل على مملكة كبيرة مقابلة لجزيرة صقلية، وسميت افريقية نسبة إلى إفريقيش بن أبرهة ابن الرائش الذي اختطها بعد أن غز المنطقة، وحددها من برقة شرقا إلى المحيط غربا، محصورة بين البحر شمالا ورمال الصحراء الكبرى جنوبا .

---

[1] موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط. 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 13.

[2] الحموي، شهاب الدين ياقوت (ت. 626هـ/ 1229م): معجم البلدان، ط. 2، دار صادر، بيروت، 1995 مج. 1، ص. 228.

ورغم تعدد الألفاظ إلا أن المعنى واحد، فالمقصود بلفظ المغرب هو كل إقليم يقابل المشرق فرغم أن البعض جعل هذا اللفظ يشمل الشريط الشمالي لإفريقيا، والبعض الآخر جعله يشمل كل القارة بما فيها الأندلس، إلا أن هذا اللفظ اتسع مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتغير مركز الخلافة، فلم تكن بلاد المغرب معروفة بهذا الاسم عند الفاتحين المسلمين، بل أطلقوا اسم إفريقية على ما يلي مصر غربا، و مع امتداد التوسع الإسلامي وبعده عن مركز الخلافة أصبح كل إقليم في جهة غروب الشمس يعرف بالمغرب[1].

أقسام بلاد المغرب :

تمثل بلاد المغرب وحدة جغرافية، إلا أنها قسمت إلى ثلاثة أقسام حسب القرب والبعد عن مركز الخلافة في المشرق.

فأولها المغرب الأدنى أو افريقية ويمتد من برقة (أو طرابلس) غرب مصر، إلى بجاية والمسيلة بالجزائر اليوم، وكان المغرب الأدنى يمثل الجناح الشرقي لبلاد المغرب، عاصمته القيروان من الفتح إلى عهد الأغالبة، ويشمل سواحل طرابلس حتى غرب قسنطينة، ثم حول الفاطميون عاصمة المغرب الأدنى إلى المهدية، ولما انتقلوا إلى مصر حول الحفصيون العاصمة إلى تونس التي ازدهر عمرانها وعرفت نهضة علمية، واشتهرت جامعتها (جامع الزيتونة) ومازال اسم المغرب الأدنى مرادفا تونس إلى الوقت الحاضر.

والقسم الثاني هو المغرب الأوسط، وهو الذي يلي المغرب الأدنى، ولم تكن حدوده ثابتة بسبب تغير الأوضاع السياسية لبلاد المغرب والنزاعات بين دوله، ويشمل المغرب الأوسط غرب الجزائر حاليا، ويمتد من تيهرت (وتارة من مدينة الجزائر حسب تمدد وتقلص حدود الدول) إلى وادي ملوية غربا، وكانت عاصمته مدينة تيهرت في عهد الدولة الرستمية، التي

[1] موريس لومبارد: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمان حميدة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، 1998ص.83 وما بعدها.

قال عنها ابن عذارى[1] بأنها المنطقة التي تقوم من طرابلس ببلاد الزاب الأسفل، ثم تحولت عاصمة المغرب الأوسط إلى القلعة في الدولة الحمادية، التي توسعت إلى بلاد الجريد وسفوح جبال الأوراس والزاب وأشير، ثم انتقلت العاصمة إلى تلمسان في عهد الدولة الزيانية ونشبت بينها وبين دولة بني مرين حروب بسبب الحدود بينهما.

والقسم الثالث هو المغرب الأقصى، وسمي بالأقصى لبعده عن مركز الخلافة في المشرق وجعل ابن عذارى حدوده في تقسيم بلاد المغرب من تيهرت شرقا إلى منطقة سلا غربا[2] وتعددت عواصم المغرب الأقصى حسب الظروف السياسية، من فاس التي كانت لها مكانة كبيرة في بلاد المغرب منذ الأدارسة العلويين، وأسسها الأدارسة سنة 191هـ/ 806م وجعلوها عاصمة لدولتهم، ثم انتقلت العاصمة إلى مراكش في عهد المرابطين سنة 463هـ/ 1070م، وتوسعت دولتهم إلى غاية بلاد السودان الغربي، وبقي نهر ملوية حدا فاصلا بينه وبين المغرب الأوسط.

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن الحسن الوزان في كتابة وصف إفريقيا قسم بلاد المغرب إلى أربعة أقسام، وهي مملكة مراكش والتي ضمت سبعة أقاليم، ومملكة فاس، ومملكة تلمسان التي ضمت إقليم الجزائر وتنس، ومملكة تونس وفصل عنها بجاية، التي كانت محل نزاع دائما بين المملكتين، فمرة تتبع مملكة تلمسان ومرة تجدها ضمن مملكتي تونس وتلمسان.[3]

---

[1] ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت. 695هـ/ 1296م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تح. ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج.1، ص. 5.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ص. 5..

[3] الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (ت، 960هـ/ 1554م): وصف افريقيا، ط.2، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي، 1983، ج. 1، ص. 16.

2ـ المشرق الإسلامي[1]:

الشرق في اللغة مصطلح جغرافي، وهو إحدى الجهات الأربع التي يموضع بها الإنسان نفسه في المكان، ويقابله الغرب، كما الشمال يقابل الجنوب. وفي العربية استعمل لفظ المشرق والمغرب، بالإفراد والتثنية والجمع؛ ففي القرآن: رب المشرق والمغرب[2] ، ورب المشرقين ورب المغربين[3]، ورب المشارق والمغارب[4]. وليس في هذا التعدد ما يتجاوز المعنى الجغرافي. ذلك لأن المقصود بالمشرقين والمغربين حسب المفسرين هو مكان شروق الشمس في الصيف ومكان غروبها في الشتاء. أما المشارق والمغارب فهما أمكنة شروقهما وغروبهما كل يوم خلال السنة. قالوا: إن الشمس تطلع في ثلاثمائة وستين كوة، فإذا طلعت في كوة لم تطلع منها حتى العام المقبل[5]، ومثل ذلك غروبها. وهذا النوع من التفسير متأثر بنمط معيشة العرب وتنقلهم في الصحراء، مسترشدين بمواقع النجوم التي كانت لها عندهم أهمية خاصة، عبر عنها القرآن الكريم بلفظ القسم: فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم.[6]

أطلق مصطلح المشرق الإسلامي على الجهة الشرقية للعالم الإسلامي، والحد الفاصل بينه وبين المغرب هو بغداد، فكل البلاد الواقعة شرق بغداد هي مشرق، وكل ما يليها غربا هي

---

[1] عبد العزيز عبد الرحمان: الجغرافيا الحضارية في المشرق الإسلامي، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2011، ص. 37 وما بعدها.

[2] سورة المزمل آية. 9.

[3] سورة الرحمان، آية. 17.

[4] سورة المعارج، آية.40.

[5] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت. 310هـ/ م): تفسير الطبري جامع البيان عن تفسير آي القرآن، تح. عبد الله عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، 2001، ج. 13، ص. 496.

[6] سورة الواقعة، آية 75, 76.

مغرب. وقسم العرب بلاد المشرق إلى عدة أقاليم وهي: أذربيجان، فارس، سجستان وخراسان[1].

وقسم المقدسي بلاد المشرق إلى قسمين، القسم الأول هو بلاد العرب وأقسامها خمسة والقسم الثاني بلاد العجم وأقسامها ثمانية، وهو يفرق بين المشرق و الشرق، فالأول عنده هو مجال الدولة الساسانية[2]، وأما الثاني فهو فارس وكرمان والسند[3]. وأما اليعقوبي[4] فقسم الأرض الأرض إلى أربعة أقسام وربعها الأول هو بلاد المشرق الإسلامي، ويبدأ من بغداد ويضم بلاد الجبل (الديلم)، وأذربيجان، وقزوين، وقم، وأصبهان، والري، وطبرستان، وجرجان، وسجستان وخراسان، وما وراء خراسان إلى غاية الصين.

ونستنتج مما سبق أن المشرق والمغرب في اللغة تطلق على شروق وغروب الشمس، فالمشرق هي المناطق الواقعة شرق النيل او مصر، والمغرب هي المناطق الواقعة غرب النيل، فالمشرق الإسلامي يضم مناطق مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام، ودجلة والفرات وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر.

ومن اهم مميزات المشرق الإسلامي من الناحية الطبيعية هي امتداد الجبال القديمة البركانية إضافة الى جبال حديثة في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية، مع الامتداد الواسع للصحاري

---

[1] كي ليسترينج: بلدان الخلافة الشرقية، مؤسسة الرسالة، ط. 2، 1985، ص. 9 وما بعدها؛ عبد العزيز عبد الرحمان آل سعد: الجغرافيا الحضارية في المشرق الإسلامي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2011، ص. 39، 45، 46.

[2] الدولة الساسانية هي آخر إمبراطورية فارسية قبل الإسلام، حكمت من عام 224 إلى 651 ميلادي. أسسها الملك أردشير الأول بعد هزيمة الإمبراطورية البارثية، وبلغت ذروتها في الفن والعمارة والثقافة مع وجود ديانة رسمية هي الزرادشتية. أدت الصراعات الداخلية والهزيمة في حروب مع البيزنطيين إلى إضعافها، مما مهد الطريق لفتحها على يد الجيوش الإسلامية في عام 651 ميلادي.

[3] المقدسي: أحسن التقاسيم، ص. 9 ومابعدها.

[4] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت. 284هـ/ 897هـ): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2002 ص. 71 وما بعدها.

(قلب الجزيرة وبلاد الشام)، ومناخ المنطقة صحراوي في معظمه باستثناء بعض سواحل بلاد الشام[1]. وأما سكان المنطقة فهم العرب وبعض الأقليات القليلة في الشام والعراق، والفرس والترك في بلاد فارس وما وراءها، واللغة المنتشرة هي العربية لأنها لغة الدين والعلوم في العصر الوسيط، وأهم المدن مكة، والمدينة، وبغداد، ودمشق، والموصل، والقاهرة، وبيت المقدس وشيراز وأصفهان وبخارى وسمرقند... وهي كلها مراكز جذب رئيسية بسبب عوامل دينية وتاريخية.

ولم يتجاوز مفهوم مشرقو مغرب هذا المعنى الجغرافي على مدى عصور الحضارة العربية الإسلامية، فعندما اتسعت رقعة هذه الحضارة وصار مركزها دمشق ثم بغداد، احتفظ المفهومان بدلالتهما الجغرافية، فاستعمل لفظ المشرق في بغداد للإشارة إلى فارس وخراسان وما إليهما، بينما استعمل لفظ المغرب في هذين المركزين للإشارة إلى بغداد وما يليها غربا.

أما في المغرب والأندلس فقد استعمل لفظ المشرق للدلالة على الأقطار الإسلامية التي تقع شرق المغرب. فمفهوم مشرق ومغرب في الحضارة العربية الإسلامية، وهو مفهوم جغرافي ولم يكن كل منهما نظرة الأنا والآخر، فهما أي المشرق والمغرب معا في الأنا، وكلاهما يعتبر داخل دار الإسلام، ويشكل الجناح الثاني للأمة الإسلامية.

[1] موريس لومبارد: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمان حميدة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، 1998، ص.40، 41.

أوروبا
دولة الفرنجة
الأندلس
قرطبة
صقلية
القسطنطينية
بحر بنطس
الدولة البيزنطية
بحر الخزر
فرغانة
بخارى
خراسان
كابل
سجستان
نهر السند
المغرب الأقصى
المغرب الأوسط
القيروان
المتوسط
البحر
العراق
فارس
دمشق
الكوفة
البصرة
كرمان
مكران
المغرب الأدنى
الفسطاط
مصر
المدينة
مكة
شبه الجزيرة العربية
البحر الأحمر
اليمن
المحيط الهندي
خريطة العالم الإسلامي
الحد الفاصل بين المشرق و المغرب

المحور الثاني:

أثر الفتوحات الإسلامية في الروابط الثقافية بين المشرق والغرب الإسلامي

الفتوحات الاسلامية

ـ أثر الفتوحات الاسلامية:

يمثل الفتح الإسلامي اول اتصال بين المشرق الإسلامي وبلاد المغرب، حيث أدى إلى وصول العنصر العربي الى بلاد المغرب عبر هذه الفتوحات، خاصة وان الفتوحات استغرقت مدة طويلة مقارنة مع باقي المناطق الأخرى، كما كلفت جهدا كبيرا للفاتحين (العراق أربع سنوات، بلاد فارس ثلاث سنوات، فلسطين والشام سبع سنوات، مصر ثلاث سنوات، بلاد المغرب ثلاثة وخمسون سنة) وهذا لعوامل كثيرة تتعلق بالجانب البشري المتمثل في طبيعة البربر، والجانب الطبيعي والجغرافي، وكذلك تدخل الروم في التصدي للفتح الإسلامي والدفاع عن المنطقة الخاضعة لنفوذهم.

ولقد مرت الفتوحات بعدة مراحل، شهدت كل مرحلة توافد العديد من العناصر العربية من المشرق الى بلاد المغرب، فبعد أن فتحت مصر على يد القائد عمرو بن العاص سنة 21هـ/ 642م، كان من الطبيعي ان يمتد الفتح تجاه بلاد المغرب، باعتباره امتداد جغرافي للمنطقة[1] إضافة الى رغبة المسلمين في تخليص هذه الشعوب من سيطرة الروم البيزنطيين، ونشر الدين الإسلامي.

وقد مر الفتح الإسلامي بمرحلتين أساسيتين، أولهما **مرحلة الاستطلاع من 21هـ الى 49هـ/ 641م إلى 649م**، فبعد فتح مصر تطلع عمرو بن العاص الى فتح بلاد المغرب لتأمين حدود مصر من الخطر البيزنطي، فأرسل حملة استطلاعية بقيادة عقبة بن نافع الى برقة، ثم سار هو بنفسه بعد ان اطمأن لنتائج الحملة الأولى الى برقة، التي كان تسكنها قبيلة لواتة البربرية البترية، وقد حقق عمرو بن العاص انتصارات عديدة، فبعد ان قدم سكان برقة الطاعة للمسلمين واصل عمرو السير الى طرابلس، ثم فتح بنزرت، وعندما استشار الخليفة

[1] حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، الإسكندرية، مصر، 2004، ص. 34 وما بعدها.

عمر بن الخطاب في مواصلة الفتح رفض هذا الأخير، وأمره بالتوقف وعدم المخاطرة بالجيش في مناطق مجهولة. وفي عهد عثمان بن عفان أسندت ولاية مصر الى عبد الله بن سعد بن ابي سرح، الذي قاد حملة الى افريقية سنة 27هـ/ 648م، وقد حقق هذا الوالي انتصارات كبيرة، حيث تمكن من القضاء على القائد البيزنطي جرجير[1] وفتح سبيطلة، وفرض الجزية وجمع غنائم كثيرة، وبعدها عاد الى مصر، واكتفى بما حققه من نصر دون المخاطرة بجنوده (قد يكون سبب الرجوع هو تأهب واستعداد البيزنطيين للانتقام لهزيمتهم ولمقتل جرجير).

وفي هذا الوقت دخلت الخلافة الإسلامية في مرحلة الفتنة بداية من مقتل الخليفة عثمان وظهور الصراع بين علي ومعاوية، لينتهي بمقتل علي بن أبي طالب، فتوقفت الفتوحات عدة سنوات، وفي عهد الدولة الاموية ادرك معاوية أهمية افريقية، لذلك تجددت الفتوحات وأرسل معاوية بن حديج سنة 45هـ/ 665م، الذي تمكن من فتح عدة مدن في افريقية، منها قابس وسوسة وبنزرت، وهنا تنتهي المرحلة الأولى من مراحل الفتح حيث مكنت المسلمين من معرفة أحوال بلاد المغرب.

أما المرحلة الثانية للفتح الإسلامي فهي مرحلة التنظيم 50-89هـ/670-708م[2]، وأول حملاتها كانت حملة عقبة بن نافع 50-55هـ/ 670ـ675م، حيث تولى عقبة قيادة الجيوش، فدخلت الفتوحات بذلك مرحلة الفتح الحقيقي، وبعد ان تمكن عقبة من فتح بعض المدن اقام معسكرا دائما لتثبيت الإسلام والذي تحول الى مدينة القيروان، في موقع بعيد عن الساحل لتفادي غارات الاسطول البيزنطي، واقام بها مسجدا وامر الناس ببناء دورهم حول المسجد.

[1] القائد جريجوريوس المعروف بجرجير عند العرب.

[2] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب ، القاهرة، د. ت، ص. 130 وما بعدها.

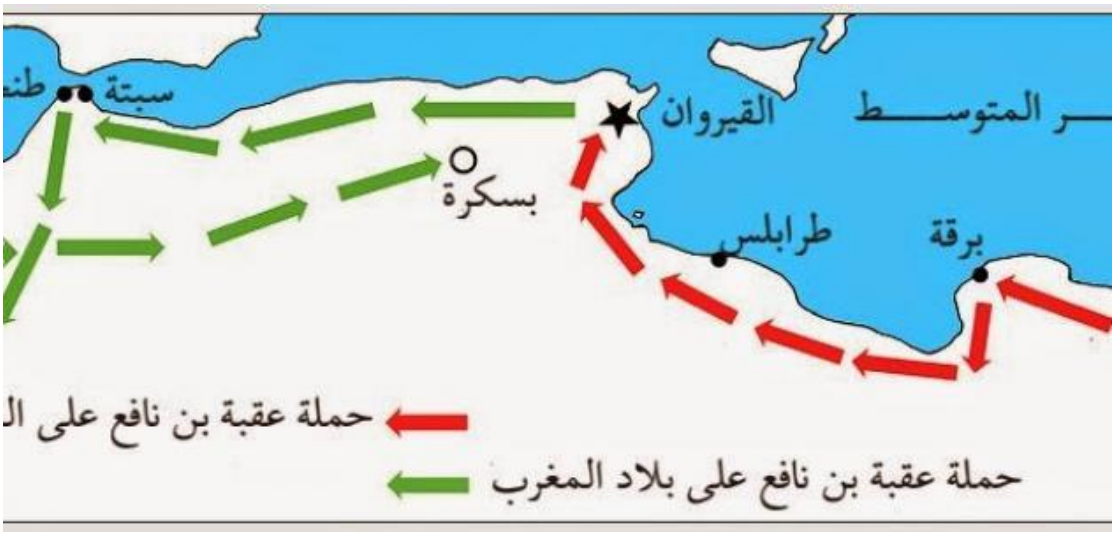

بعد إتمام بناء القيروان عزل عقبة وعين أبا المهاجر55-56هـ/ 675-682م ، وعرف أبو المهاجر بالدهاء وحسن السياسة، فقد تعامل مع البربر بطرقة تحفظ لهم مكانتهم وشخصيتهم، فتمكن من استمالة البربر البرانس اليه وعلى راسهم كسيلة الأوربي[1] الذي ترك المسيحية ودخل الإسلام، ودامت حملة أبي المهاجر سبع سنوات حقق فيها ما لم يحققه قبله قائد مسلم في بلاد المغرب، ووصلت فتوحاته الى حدود المغرب الأقصى.

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة 60هـ أعاد الخليفة يزيد بن معاوية عقبة الى بلاد المغرب للمرة الثانية 62-64هـ/682-684م، ومنحه استقلالا عن والي مصر، وبعد وصوله الى إفريقية قام باعتقال أبا المهاجر وكسيلة، ثم قام بحملته الكبرى في بلاد المغرب ووصل الى البحر المحيط، ففتح عدة مدن وقلاع، وقام ببناء مسجدا بسوسة واخر في درعة، وبعد هذه الانتصارات سرح معظم جيشه الى القيروان، ويقي معه خمسة الاف فقط، واثناء رجوعه تفاجأ بظهور كسيلة الذي كان قد فر من سجنه، وقرر الانتقام من عقبة، لذلك تحالف مع الروم، ودارت بينها معركة عند تهودة سنة 64هـ/ 683م استشهد فيها عقبة وأبو المهاجر وبعدها استولى كسيلة على القيروان.

[1] تذكر مصادر بيزنطية كسيلة بصيغة (أكسل) وتعده آخر والي بيزنطي على إفريقية، بينما أعتبره العرب زعيما بربريا من قبيلة أوربة.

وأما حملة حسان بن النعمان 73-85هـ/693-704م[1] الذي تمكن من التغلب على الروم وبسط نفوذه على البلاد من برقة الى أطراف المغرب الأقصى، ثم تمكن من القضاء على مقاومة البربر بزعامة الكاهنة ، ومن اعماله بناء مدينة تونس وأنشأ بها دار لصناعة السفن وبنى بها مسجدا، وقام بتنظيم افريقية إداريا فدون الدواوين ونظم الخراج، وعمل على نشر الدين الإسلامي واللغة العربية بين البربر، فكانت مرحلته مهمة جدا في مجال التواصل بين المشرق والمغرب، حيث مثلت بداية الاستقرار في المغرب والحاقه بالخلافة الإسلامية وفتح مجال التواصل بين المشرق والمغرب.

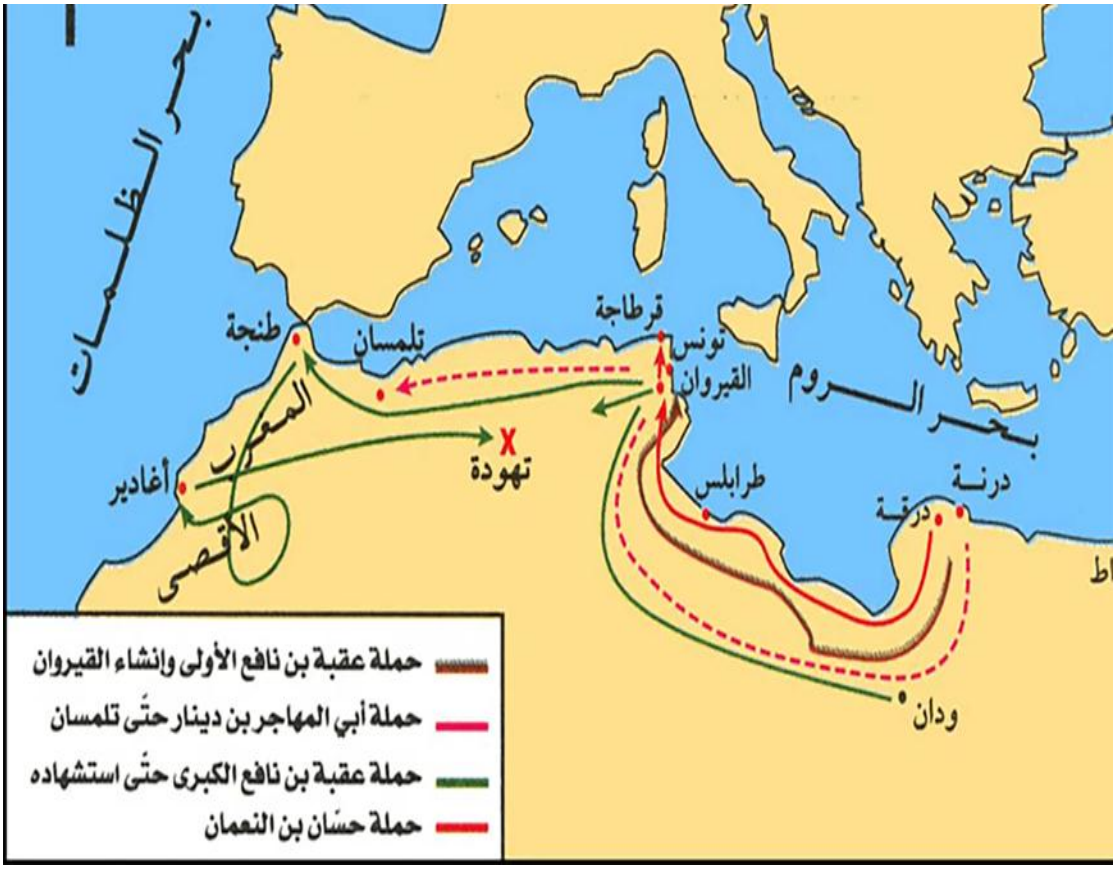

[1] محمد بن عميرة: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص. 126 وما بعدها.

ثم جاءت ولاية موسى بن نصير 85-95هـ/704-715م[1] التي دامت حوالي عشر سنوات وتمكن فيها من القضاء على جيوب المقاومة البيزنطية واخضاع العناصر البربرية، ثم تطلع الى فتح الاندلس، وعبر هذه المراحل التي استغرقت زمنا طويلا استقرت الفتوحات وانتشر الدين الإسلامي في بلاد المغرب، وأحدث الفتح انقلابا دينيا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا، حيث اثرت حضارة المشرق تأثيرا قويا على بلاد المغرب، من خلال بناء مراكز الاستقرار وهي المدن والمساجد والقلاع، ومثلت المدن التي كانت تحمل الطابع الإسلامي عاملا من عوامل التواصل ومن ابرزها القيروان التي أسسها عقبة بن نافع عند توليه قيادة الفتح في بلاد المغرب سنة 55هـ/ 674م، وقد كان لها دور بارز في استقرار المسلمين في بلاد المغرب، وسكن العرب الى جانب البربر وعم الدين الإسلامي المغرب، فساهمت في تحقيق التواصل الثقافي.

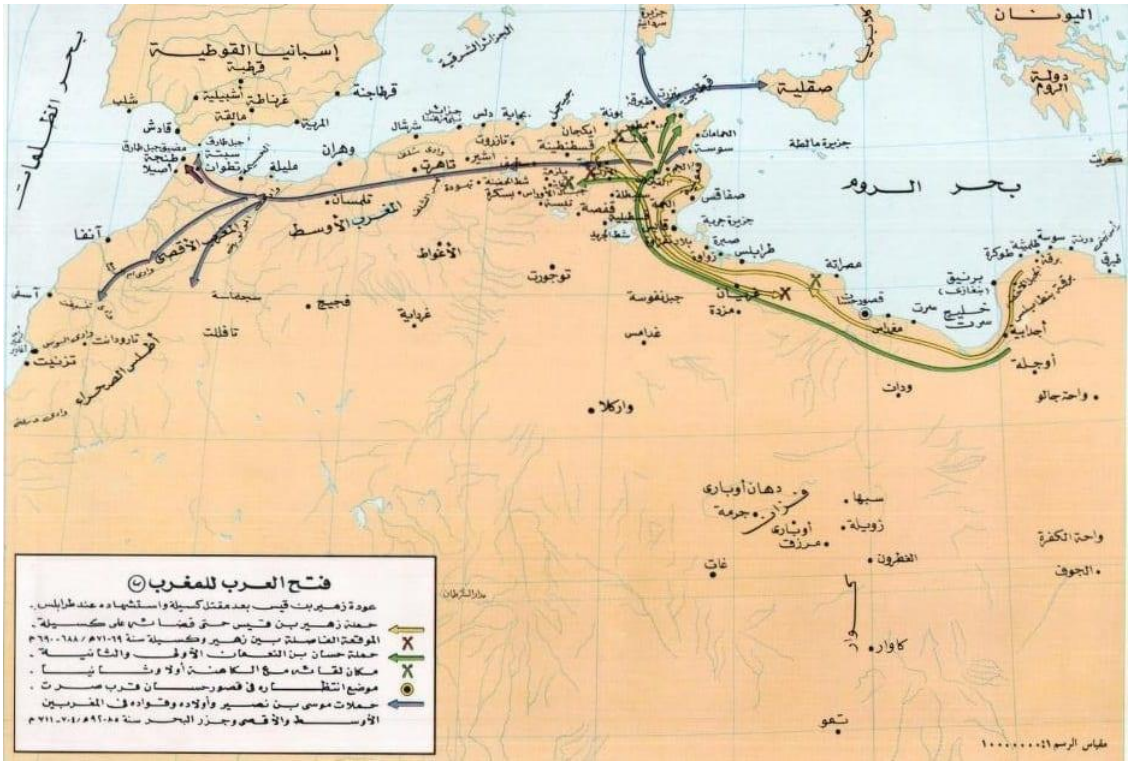

[1] حول استقرار الفتح وتأثيراته في بلاد المغرب ينظر: لقبال: مرجع سابق، ص. 81 وما بعدها.

ـ دور الفتح الإسلامي في التواصل الثقافي والفكري بين المغرب والمشرق:

تعددت مظاهر التواصل والتلاقح الثقافي والفكري بين المغرب والمشرق بعد الفتح الإسلامي ومن بينها اندماج البربر في الحضارة العربية الإسلامية، فلقد واجهت الجيوش الإسلامية في بلاد المغرب قبائل بربرية إلى جانب الجيش النظامي البيزنطي، ولم يكن لتلك القبائل مظاهر وحدة تجمع بينها[1]، فكان ولاء بعضها للبيزنطيين واستقل البعض الآخر عنهم، ولما جاء الإسلام الذي مثل وحدة دينية وسياسية اجتمعت حوله القبائل البربرية، واتحدت مع العرب في اطار الأمة الإسلامية، وكانت بداية اندماج البربر بطيئة وفق السياسة التي اتبعها الولاة الذين شجعوا البربر على اعتناق الإسلام فأسلم الكثير منهم.

فسياسة حسان بن النعمان[2] ساهمت في اندماج البربر في الحضارة الإسلامية لما اشترط على القبائل المنهزمة نحو اثنى عشر ألف رهينة لينشر في صفوفهم الدين الإسلامي، وساهم هؤلاء الرهائن في نشر الإسلام بين قبائلهم التي أقبلت على اعتناق الإسلام والاندماج في المجتمع الإسلامي الجديد.

وواصل موسى بن نصير هذه السياسة، فكان يأمر العرب بتعليم القرآن للبربر، وأرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز عشرة علماء إلى بلاد المغرب لترسيخ الإسلام في البربر. كما ساهم استيطان العرب ببلاد المغرب واختلاطهم بالبربر في بناء المجتمع المغربي الجديد، فمنذ بداية الفتوحات وفد إلى بلاد المغرب أكثر من مائة وثمانون ألف من الفاتحين العرب المسلمين استقر أغلبهم في بالقيروان، وقد ذكر اليعقوبي[3]: ((في مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل

---

[1] العبادي: مرجع سابق، ص. 35 وما بعدها.

[2] العبادي: مرجع سابق، ص.45.

[3] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت. 284هـ/): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002 ص. 186.

خراسان ومن كان وردها مع عمال بني هاشم من الجند وبها عجم من عجم البلد البربر والروم وأشباه ذلك)).

ومن مظاهر التواصل الثقافي بعد استقرار الفتوحات نشر الإسلام و اللغة العربية[1]، فكان تأسيس مدينة القيروان وإنشاء جامعها نقطة الانطلاقة، حيث كان هذا الجامع مسرحا لتدريس العلم على يد الصحابة والتابعين الذين قدموا مع عقبة بن نافع، ومنهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كما قام عقبة ببناء عدة مساجد بالمغربين الأقصى والأوسط وكانت مراكز لتعليم البربر الإسلام، وقد وصل عدد المساجد بالقيروان وغيرها في عصر ازدهارها ثلاثمائة مسجد، ثم جاء بعده حسان بن النعمان الذي خصص ثلاثة عشر فقيها من التابعين، لتعليم البربر العربية[2] والفقه ومبادئ الإسلام. وانتقل عكرمة مولى ابن عباس إلى إفريقية لنشر العلم، وكانت دروسه في الحديث والتفسير في جامع عقبة في مجلس بمؤخرة الجامع يقصده الطلاب فيه. وأمر موسى بن نصير العرب أن يعلموا البربر القرآن، وأن يفقهوهم في الدين، وترك فيهم بالمغرب الأقصى سبعة وعشرين فقيها لتعليمهم.

وأدت الفتوحات الإسلامية إلى ازدهار فن العمارة الإسلامية ببلاد المغرب، فشهد الغرب الإسلامي نهضة عمرانية تمثلت في تعدد المدن، فتكونت شبكة حضرية عبارة عن مدن كبرى لعبت دور العواصم لبلاد المغرب وأقسامه، ومدن صغرى وقرى في الأرياف والمناطق النائية وتميزت هذه المدن بتنوع طرازها المعماري المتأثر بشكل واضح بالطراز المشرقي.

ومن الأمثلة على هذه المدن التي لعبت دور العواصم للمغرب ودوله القيروان بالمغرب الأدنى وتيهرت وتلمسان بالمغرب الأوسط، وفاس وسجلماسة بالمغرب الأقصى، وقرطبة بالأندلس.

---

[1] موريس لومبارد: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمان حميدة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، 1998، ص. 16، 23؛ العبادي: مرجع سابق، ص. 47.

[2] العبادي: مرجع سابق، ص. 47.

ونشأت مدن متوسطة وقرى على طول المسالك والطرقات التي ربطت بلاد المغرب بالمشرق وببلاد السودان الغربي.

وأول هذه المدن وأهمها القيروان، التي اختار موقعها عقبة بن نافع في موقع حصين بعيد عن البحر لتفادي هجمات البيزنطيين، يتميز بطابعه شبه الصحراوي، وتتوفر فيه المراعي للإبل والماشية الأخرى، كما يقع على طريق المسالك الرابطة بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب. واتبع الفاتحون في عمرانها نمط المدن المشرقية التي يكون وسطها عبارة عن ساحة كبيرة يبنى فيها المسجد ودار الإمارة، وحولها الأسواق، وجهزوها بخزانات أرضية تتجمع فيها مياه الأمطار وتسمى البفسقيات والمواجل، وأحيطت المدينة بسور عريض، واتسعت المدينة في العهد الأغلبي فشيدت فيها القصور، وازدهرت الصناعة، وقصدها الناس من كل مكان لطلب العلم والتجارة والإقامة الدائمة، حتى أصبحت من أهم وأكبر الحواضر الإسلامية.

أما المهدية[1] فتقع على الساحل الشرقي لإفريقية، أسسها الفاطميون سنة 302هـ/ 914م وجعلوها عاصمة لدولتهم بدلا عن القيروان، وقسموها إلى قسمين جعلوا أحدهما مقرا الدولة وفيه الجامع والأسواق والميناء الذي نحتوه في الصخر وأحاطوه بسور، و القسم الثاني جعلوه لعامة الناس وسموه زويلة، ويفصل بين القسمين باب.

وسجلماسة في جنوب المغرب الأقصى، وهي مدينة صحراوية أنشأها الخوارج الصفرية سنة 140هـ/ 757م وجعلوها عاصمة لدولتهم، وشيدت بها المساجد والقصور، ولها سور كثير الأبواب، وكان ازدهار سجلماسة بفضل التجارة الصحراوية التي حققت أرباحا طائلة.

[1] مقديش، محمود بن سعيد (ت. 1228هـ): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار تح. علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ج. 2 ص. 344.

وأما مدينة فاس فأنشأها الأدارسة سنة 172هـ/ 788م. وتقع أسفل جبال الأطلس واختير لموقعها سهل واسع، واكتسبت هذه المدينة أهمية كبيرة طيلة تاريخ المغرب الوسيط واشتهرت بجامع القرويين.

تعتبر هذه المدن الكبرى أمثلة[1] عن حركة التعمير والتمدين التي شهدها المغرب الإسلامي بعد الفتح، وتميزت هذه الحركة بتأثرها بالطابع العمراني القادم مع الفاتحين من المشرق.

[1] سيتم تناول حواضر المغرب الهامة في محور دور الحواضر في التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب.

المحور الثالث:

الحركة العلمية ودورها في التواصل الثقافي بين والمشرق والغرب الإسلامي

الحركة العلمية ودورها في التواصل الثقافي بين الغرب والمشرق

ـ الرحلة العلمية وحركة العلماء:

الرحلة لغة الترحيل، والارتحال، والسير، والضرب في الارض، فجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان الى اخر، وجاءت بمعنى الجهة التي يقصدها المسافر، فالرحلة هي السير والانتقال والجهة أو القصد الذي يراد السفر إليه[1]. وتعتبر الرحلة من العوامل التي ساهمت بشكل كبير في التواصل بين المشرق والمغرب الإسلامي خلال فترات التاريخ الإسلامي، إلا أنها اختلفت من مرحلة إلى أخرى بسبب اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية.

وكان للرحلة أهدف ودوافع وعوامل مختلفة، منها ما ارتبط بالجانب الديني، كفريضة الحج ومجاورة المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومنها ما ارتبط بالجانب التجاري والاقتصادي، أو ما ارتبط بطلب العلم، وبحسب الدوافع تعددت أنواع الرحلات، فمنها رحلات طلب النجاة ويقصد بها الهجرة والنزوح، ومنها الرحلات ذات الدافع الديني كرحلة الحج، ورحلة الجهاد والرباط، والرحلات لطلب العلم، والرحلات ذات الطابع التجاري، وقد يكون دافع بعض الرحلات السياحة أو السياسية[2].

وكان طلب العلم هو الهدف الأساسي، ولم تقف صعوبات الطرق والحدود أمام طالب العلم للوصول إلى المراكز العلمية، ولقاء العلماء والأخذ عنهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون في المقدمة :((إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح. عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ص. 1611.

[2] عبد الحكم عبد اللطيف: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1996ص. 15.

والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا))[1]. وكانت قيمة طالب العلم تحدد من خلال ما قام به من رحلات، ومن خلال عدد العلماء الذين أخذ عنهم، فكان الطلبة يرتحلون إلى مختلف البلدان الإسلامية، خاصة إلى البلدان التي تتوفر على عوامل الجذب، كتوفر المؤسسات العلمية ومراكز الإيواء، والاستقرار السياسي، وتشجيع السلاطين للعلم والعلماء.[2]

أما مسالك وطرق الرحلة فقد كانت برية وبحرية، وكان الطريق الرئيسي إلى المشرق يبدأ من المغرب الأقصى، من فاس مرورا بمدن المغرب الأوسط، عبر وهران وتلمسان ثم الجزائر إلى بجاية، وتونس وطرابلس الغرب ثم برقة، إلى الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة ثم عبر النيل إلى ميناء عيذاب، ثم مدن الحجاز. ومن القاهرة كان يتفرع طريق آخر إلى بلاد الشام وبيت المقدس. وأما الطريق البحري فينطلق إما من مدن الأندلس وخاصة المرية، إلى موانئ المغرب الأوسط هنين ووهران أو تنس، ثم بجاية فتونس إلى الإسكندرية، أو من الأندلس من الجزيرة الخضراء إلى سبتة أو طنجة، ثم موانئ المغرب الأوسط، ومنها إلى الإسكندرية وهو نفسه طريق الحج.[3]

مصنفات الرحلة:

اهتم الكثير من الذين ارتحلوا إلى بلاد المشرق والحجاز بتدوين رحلاتهم، في كتب أصبحت من المصادر الأساسية لتاريخ تلك البلدان، وقد عرفت بكتب الرحلة، وعادة ما تنسب إلى أصحابها أو الأماكن المقصودة، وهناك من جمع بينها وبين الفهارس، ومن الأمثلة على هذه المصنفات النفحة المسكية في الرحلة المكية، لابن سعيد المغربي (ت. 685هـ/ 1286م)

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد (ت. 808هـ/: المقدمة، تح. عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، د. م 2004 ج. 2، ص. 358.

[2] أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، السعودية، د. ت، ص. 12 وما بعدها.

[3] عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص. 71 وما بعدها.

وهو من الرحالة الأوائل وصنف كتابه سنة 639هـ/ 1241م[1]، وملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة لابن رشيد السبتي (ت. 721هـ/ 1320م) والذي قام برحلة إلى الحجاز سنة 683 هـ/ 1284م. والرحلة المغربية لمحمد العبدري (تاريخ الوفاة مجهول)، قام برحلة إلى المشرق سنة 688هـ/ 1288م[2]. وتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة الطنجي (ت. 770هـ/ 1368م) وهي الرحلة المشهورة[3]. وهناك العديد من الرحلات المغاربية الأخرى مثل رحلة أبي البقاء خالد البلوي (ت. 780هـ/ 1378م) إلى الحجاز، والتي دونها وسماها تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ورحلة أبي الحسن القلصادي المسماة رحلة القلصادي.

أما الرحلات من المشرق إلى المغرب فنادرة، ويعرف منها رحلة عبد الباسط بن خليل القاهري المصري (ت. 920هـ/ 1514م)، التي زار فيها تونس ثم بجاية والجزائر، ومنها إلى تلمسان حيث التقى أبي عبد الله العقباني وابن زكري، ثم انتقل من تلمسان إلى الأندلس، والتقى أبي العباس أحمد الشريف التلمساني، وفي سنة 871هـ/ 1466م عاد إلى القاهرة.[4]

ـ حركة العلماء بين المشرق والمغرب:

لقد تأثرت حركة العلماء وطلاب العلم من المغرب إلى المشرق بالظروف السياسية والثقافية لذلك كان اختلاف في أعداد العلماء الذين ارتحلوا إلى المشرق، بين مرحلة وأخرى حسب

---

[1] ينظر: محمد جابر الأنصاري: التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

[2] ينظر العبدري، محمد البلنسي (ت. 720هـ/ 1320م): الرحلة المغربية، بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر 2007.

[3] ينظر ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت. 770هـ/ 1368م)): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار دار إحياء العلوم، بيروت، د.ت.

[4] حول رحلة عبد الباسط ينظر: Brunshrik: deux récits de voyage inédits en Afrique du nord au XVéme siècle, Abdel-Basit. B, Larose, éditeurs, Paris, 1936. يتضمن الكتاب النص العربي للرحلة.

الظروف والإمكانات المتوفرة، من مراكز علمية والاستقرار السياسي وتوفر الأمن، كما أن اتجاه الرحلة بين المغرب والمشرق لم يكن متوازنا، فنسبة الوافدين من المغرب إلى المشرق كانت كبيرة، بسبب الازدهار العلمي والثقافي الذي شهدته حواضر المشرق، فم يكن أهل المشرق في حاجة إلى التنقل إلى المغرب، إلا أن هذه الأوضاع تغيرت بعد ذلك، بعدما ازدهرت حواضر المغرب الإسلامي واصبحت مقصدا للطلبة، مثل القيروان، وتونس، وبجاية وتلمسان وفاس، وقرطبة، وغيرها من حواضر المغرب الإسلامي.

لقد كان من عادة طلبة العلم الارتحال إلى المشرق رغم الصعاب الكثيرة التي تعترضهم، وقد كان عددهم كبيرا جدا، حيث أنه من المستحيل إحصائهم، لأن كتب التراجم تزخر بالعدد الهائل منهم، فالمقري عندما يتحدث عن رحلة الأندلسيين إلى المشرق وعن الذين عرفهم وذكرهم فقط قال: ((اعلم جعلني الله تعالى وإياك ممن له للمذهب حق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم بذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام))[1]، هذا القول يفسر العدد الكبير من المرتحلين من بلاد المغرب إلى المشرق الإسلامي للأسباب السالفة الذكر، ولذلك فسيتم التطرق إلى نماذج قليلة فقط من هؤلاء.

ففي المرحلة الأولى بعد الفتح كانت حركة العلماء من المشرق إلى المغرب، وكان الهدف من الرحلة إما الجهاد أو الدعوة الإسلامية ونشر تعاليم الدين الإسلامي، ورغم أن عددهم كان قليلا إلا أن دورهم كان كبيرا في تحقيق التواصل بين المشرق والمغرب، ومن أبرز هؤلاء عبد العزيز بن يحيى المدني الذي رحل من المدينة إلى القيروان واستقر بها إلى أن توفي سنة 225هـ/ 839م، ومن مصر رحل زيد بن بشر بن عبد الرحمان الأزدي المصري إلى القيروان، ثم اتجه إلى الأندلس، كما رحل إلى القيروان واستقر بها المفسر يحي بن سلام التميمي الكوفي إلى أن

[1] المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت.1041هـ/ 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح. يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، دار الفكر العربي بيروت، لبنان، 1998.، ج.2، ص.6.

توفي سنة 200 هـ/ 815م، ومن الأدباء رحل الخطيب أبو البشر إبراهيم بن محمد الشيباني البغدادي إلى الأندلس، ثم استقر بالقيروان وتوفى فيها سنة 298هـ/ 910م.

كما رحل إلى الجهاد بإفريقية كل من عبد الرحمان بن أبي بكر، والمسيب بن محزن، ومن الفقهاء رحل أبو الأشعث الكلبي، وعبد الله بن المغيرة، وأبو إسحاق بن مزاحم بن غياث وهم من التابعين[1]. وبعد القرن الخامس الهجري أصبح عدد المرتحلين إلى بلاد المغرب قليل جدا مقارنة بالفترة السابقة، ومنهم تقي الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين المصري الذي رحل إلى الأندلس، وابن طراد النحوي الحجازي، كما رحل إلى الأندلس عبد الرحمان بن داود بن علي (ت. 608هـ/ 1211م)، وعمر بن داود بن عمر الفارسي البخاري (ت. 640 هـ/ 1242م) وهو من أهل التصوف الذي رحل أيضا إلى الأندلس[2].

أما حركة العلماء وطلبة العلم من المغرب إلى المشرق فإن عددهم كان كبيرا، ومن أبرزهم في المرحلة القريبة من الفتح أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز (ت. 412هـ/ 1021م) ولد بالقيروان ثم رحل إلى العراق[3]، ومنهم أيضا أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي سحنون صاحب المدونة، كما رحل أبو يحي حماد بن يحي إلى مكة والمدينة وأخذ عن علمائهما، كما رحل إلى بلاد الشام خالد بن ربيعة الإفريقي، ورحل محمد بن سحنون إلى المدينة سنة 235هـ/ 849م.

أما بعد القرن الخامس والسادس فإن عدد المرتحلين إلى المشرق تضاعف بسبب الأوضاع السياسية في بلاد المغرب، فمن الأندلس رحل كل من محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سراقة شرف الدين (ت. 660هـ/ 1261م)، وأبو عبد الله بن عبد الرحمان بن الحكم

---

[1] محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، 1988، ص. 90 وما بعدها.

[2] المقري: نفسه.

[3] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان (ت. 910هـ/ 1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، ج. 1، ص. 71.

الرندي ذو الوزارتين (ت. 708هـ/ 1303م) رحل إلى مصر ثم إلى الحجاز والشام، ومحمد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري (ت. 764هـ/ 1362) رحل إلى الحجاز، وأبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المعروف بابن العربي الذي رحل إلى المشرق سنة 485هـ/ 1092م وأبو بكر محمد بن الوليد القرشي المالكي المعروف بالطرطوشي الذي زار الحرمين ودخل بغداد وبلاد الشام[1]. ورحل كل من أبي القاسم التنوخي (ت. 622هـ/ 1224م) من المغرب الأدنى إلى مصر والحجاز، وأخذ عن عدة علماء، وأبي إسحاق إبراهيم بن خلف التنسي من المغرب الأوسط (ت. 680هـ/ 1281م) رحل إلى القاهرة، وإليها أيضا رحل عبد السلام بن علي الزواوي بن سيد الناس (ت. 681هـ/ 1282م)، وابن زيتون التونسي وأبو عبد الله العبدري الفاسي، ومحمد بن إبراهيم الآبلي، وأبو عبد الله المقري، وابن مرزوق الخطيب، وعبد الرحمان بن خلدون وغيرهم[2].

لقد ساهمت الرحلة العلمية في توثيق الصلات العلمية بين المشرق و المغرب، كما سهلت من التواصل بين العلماء وتحقيق التعاون في المجالات العلمية، وساهم علماء المغرب المرتحلون إلى المشرق في ازدهار الحياة العلمية، حيث تولى العديد منهم التدريس والقضاء والإمامة وغيرها كما أدت الرحلة إلى بروز مراكز علمية، وكانت مقصدا للعلماء وطلبة العلم، كما أن الرحلة لم تقتصر على مجال علمي واحد، بل ضمت كل فروع المعرفة، وبالتالي كانت من العوامل الأساسية في تحقيق التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب عبر المراحل التاريخية.

رحلة الحج: حرص المغاربة على أداء فريضة الحج كباقي المسلمين، وقد مثلت رحلة الحج أقوى الروابط بين أهل المغرب والمشرق، حيث لم تكن المسافات البعيدة وصعوبة الطريق

---

[1] ابن بشكوال (ت. 578هـ/ 1083م): الصلة، تح. ابراهيم الأبيار، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ج. 2، ص. 210.

[2] الغبريني، أبو العباس أحمد (ت. 714هـ/ 1314م): عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص. 97، 220، 308.

حاجزا أمام حرص المغاربة على أداء الحج، كما اهتم الحكام برحلة الحج اهتماما كبيرا فعملوا على توفير الظروف المناسبة لإنجاح رحلة الحج، من حيث توفير الأمن وتمهيد الطرق وحراستها.

ومن مظاهر اهتمام الحكام بالحج اعتناؤهم بالمدن التي يمر بها ركب الحجيج، ففي المشرق اعتنى الحكام في الدول التي ظهرت في المشرق سواء في عهد الأمويين أو العباسيين وحتى في عهد المماليك بمحطات قوافل الحجيج في الإسكندرية والقاهرة، باعتبارهما المحطة الأولى للحجيج المغاربة، فتتوفر للمغاربة فرصة لقاء العلماء والفقهاء، ويتم اخذ الإجازات العلمية سواء أثناء الذهاب أو العودة من الحج، كما حظيت مدن الحجاز مكة والمدينة باهتمام الحكام الذين بنوا المدارس وشجعوا على إقامة دروس في الحرمين خاصة بكل المذاهب.[1]

ومن أجل تسهيل مهمة الحجاج اهتم الحكام والعلماء والفقهاء سواء في المغرب أو المشرق بتخصيص أوقاف للحرمين، وحبس الكثير منهم المصاحف والمكتبات، كما خصص بعض حكام المشرق أحباسا للحرمين، منها الرواتب السنوية للمشرفين عليها وكسوتها كل سنة إضافة إلى كميات من الطعام توزع على الفقراء، وهذا كله لخدمة الحجيج وتسهيل التواصل بين العلماء وطلبة العلم.

وكان ركب الحجيج الذي ينطلق من المغرب والأندلس يضم عدة فئات، منهم العلماء وطلبة العلم والفقهاء والأطباء، الذين كان هدفهم الثاني بعد أداء فريضة الحج هو لقاء المشايخ والأخذ عنهم في المدن التي يمرون بها، فكان يتم تبادل المعارف والعلوم، والحصول على الإجازات العلمية.[2]

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط. 2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1076، ص. 341 وما بعدها.

[2] القلصادي أبو الحسن علي (ت. 891/ 1486م): رحلة القلصادي، تح. محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص.32 وما بعدها.

لقد كان لرحلة الحج دور كبير في تحقيق التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق، حيث يتم فيها التعارف بين العلماء في المغرب والمشرق، فتمتزج الأفكار والمعارف، يأخذ طلبة العلم المغاربة من علماء المشرق والعكس كذلك، فيتم الاطلاع على المستجدات العلمية وعلى المؤلفات الهامة، ولذلك يندر أن توجد ترجمة لعالم من بلاد المغرب تخلو من ذكر شيوخه من المشرق.

وإلى جانب رحلة الحج هناك ظاهرة المجاورة، وهي لا تقل أهمية عن الحج، والمجاورة هي المكوث في مكة أو المدينة مدة من الزمن، لتحقيق أهداف دينية أولا، و علمية أو اقتصادية ثانيا، وكان المغاربة والمصريون والشاميون أكثر المهتمين بهذه الظاهرة، وكان المجاورون من فئات مختلفة فمنهم العلماء وطلبة العلم والزهاد والمتصوفة، كما كان بعضهم يفضلون قضاء ما تبقى من حياتهم بجوار الحرمين، وفي هذا الجو كان يتم تبادل المعارف بالتقاء العلماء وطلاب العلم من مناطق إسلامية عديدة، وهذا ما يحقق التواصل الثقافي.

الهجرة الأندلسية:

تعتبر الهجرة الأندلسية من أهم الأحداث التي شهدتها الأندلس، نظرا للكم الهائل من المهاجرين واتجاهاتهم المختلفة، ونظرا أيضا لتأثيرهم الكبير على البلدان التي هاجروا إليها. ويختلف مفهوم الهجرة عن مفهوم الرحلة، لأن المهاجر خرج دون نية الرجوع إلى بلده ولذلك يطلق على الهجرة في الكتب اسم الجلاء.

لقد ضمت الهجرة الأندلسية فئات اجتماعية مختلفة، فمنهم العلماء والحرفيون والمزارعون والبناؤون، بينما اقتصرت الرحلة على أهل العلم. وكانت الهجرة حتمية فرضتها العوامل السياسية والدينية والاجتماعية، خاصة بعد سقوط دولة الموحدين، ومن أبرز دوافع الهجرة حروب الاسترداد كعامل أساسي بعد ضعف الدول الإسلامية في الأندلس والمغرب، وتمكن النصارى من استرداد العديد من المدن، مما دفع الكثير من الأندلسيين إلى البحث عن مناطق

أكثر أمنا واستقرارا في بلاد المغرب أو في بلاد المشرق[1]. لقد تدهورت الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأندلس، بعد الحكم الأموي، رغم محاولات كل من المرابطين ثم الموحدين انقاذها، ولم تستطع دولة بني الأحمر التي ظهرت في غرناطة جنوب الأندلس التصدي لزحف النصارى بسبب الضعف العسكري والاقتصادي، فساءت الأوضاع مما دفع بالأندلسيين إلى الهجرة.[2] كما أن المعارضة السياسية التي أبداها بعض الأندلسيين للدول عرضهم لبطش واضطهاد حكام هذه الدول، ففضلوا الهروب والهجرة إلى المنطق الأكثر أمنا.[3] ولعب الاستقرار السياسي في بلاد المغرب (الأقصى والأوسط والأدنى)، وفي بلاد المشرق التي تبعد كثيرا عن الأندلس وتحتوي على الأماكن المقدسة، دورا حيث جعلت منها مناطق جذب للأندلسيين.

أما مراحل الهجرة فقد مرت بمرحلتين أساسيتين[4]، مرحلة ما قبل سقوط غرناطة وتشمل هذه المرحلة فترات الضعف التي مرت بها الدولة الإسلامية في الأندلس، مما أدى إلى تجدد حروب الاسترداد، لذلك فضل الكثير من الأندلسيين الهجرة على البقاء تحت سيطرة النصارى وتتحدث المصادر خاصة كتب التراجم عن الكثير من الأسر التي هاجرت إلى المغرب والمشرق.[5] أما مرحلة ما بعد سقوط غرناطة أو بعد نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس فبمجرد أن تم توقيع معاهدة التسليم وشروط الصلح، حتى بدأ النصارى في نقض الاتفاقية

---

[1] شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1983، ص. 21 وما بعدها.

[2] المرجع نفسه، ص. 53.

[3] عبد الرحمان علي الحجي: هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص. 53.

[4] تجدر الإشارة إلى أن أول موجة لهجرة الأندلسيين كانت إلى مصر بعد ثورة الربض في قرطبة في عهد الأمير الأموي الحكم الربضي (180- 206هـ/ 796- 822م)، أنظر: أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربي، بيروت، لبنان، د. ت، ص. 119 وما بعدها.

[5] أنظر: ابن مريم، أبو عبد الله بن أحمد (كان حيا سنة 1014هـ/1605م): البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح. محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

وسلطوا على المسلمين أبشع أنواع التعذيب، خاصة بعد إنشاء محاكم التفتيش التي أرغمت المسلمين على التخلي عن الدين الإسلامي[1] مما دفع بهم إلى الهجرة خاصة بعد ظهور فتاوي التهجير كفتوى الونشريسي، التي أباحت لهم البعد والفرار من أرض سيطر عليها النصارى[2].

وهكذا أضيف دور المهاجرين إلى دور طلبة العلم، في تحقيق التواصل بين المغرب والمشرق خاصة من خلال تأثيرهم الفعال في المناطق التي حلوا بها واستقروا فيها.

مناهج وطرق التدريس:

لقد مثلت المظاهر العلمية أبرز مظاهر التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق، وقد ظهر هذا التأثير في جوانب عديدة من خلال حركة العلماء والطلبة من المغرب إلى المشرق، حيث مارس الكثير منهم وظائف مختلفة، وشملت ميادين التدريس والقضاء والطب وغيرها.

ففي مجال التدريس ومناهجه، ونظرا للعدد الكبير للمرتحلين من المغرب إلى المشرق، فقد مارس هؤلاء مهمة التدريس في أكبر المراكز العلمية في بلاد المشرق، كما نتج عن هذه الحركة العلمية الاطلاع على مناهج التعليم في المنطقتين، فتم الاقتباس لطرق التدريس من الجانبين حيث اقتبس المغاربة من المشرق ومن مصر بالخصوص طريقة الحوار، أي السؤال والجواب وهي طريقة كانت منتشرة في القاهرة، هذه الطريقة التي تجعل من الطالب أساس العملية التعلمية من خلال الحوار المستمر بين الطلبة، بينما يقوم المدرس بتوجيه وإدارة النقاش، ومن أبرز العلماء الذين نقلوا هذه الطريقة من المشرق إلى المغرب ابني الإمام، وعمران المشدالي ولقد لقيت هذه الطريقة ترحيبا من المدرسين والطلبة.

---

[1] أنظر: هنري تشارلز لي: العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة، تر. حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1988.

[2] الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت. 914هـ/ 1508م): المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء أهل إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج. 2، ص. 137 وما بعدها.

ومن مناهج التدريس التي انتقلت إلى المغرب عن طريق العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ظاهرة الكراسي العلمية خاصة في مصر، وقد كان كل كرسي مخصص لعلم من العلوم وتقام دروسه في المساجد والمدارس.

ومن أشهر علماء المغرب الذين زاروا المشرق واشتغلوا بالتدريس وتأثروا بمناهج المشرق أبو القاسم بن زيتون، الذي رحل من إفريقية إلى المشرق وتأثر بمنهج المشارقة، كما رحل إلى المشرق من المغرب الأقصى ابن شعيب الدكالي، ومن المغرب الأوسط ناصر الدين المشدالي ومن الذين درسوا بالمشرق ابن مرزوق الخطيب، الذي تولى التدريس بالمدرسة الصرغتمشية[1] والمدرسة النجمية[2]، ومن الذين تولوا التدريس أيضا بمصر محمد بن عبد الله حافي راسه المتوفي سنة 693هـ/ 1293م، كما أشارت بعض المصادر إلى أن أبا الفضل محمد بن الإمام تولى التدريس ببيت المقدس، ودرس ابن خلدون بالمدرسة القمحية[3] والمدرسة البرقوقية[4].[5]

ومن الأندلس رحل أبو عبد الله بن سراقة الشاطبي وتولى مشيخة دار الحديث بحلب ومشيخة دار الحديث بالقاهرة، أما أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي فقد تولى التدريس بالرباط الناصري وبالفاضلية[6] بمصر، أما فتح الدين بن سيد الناس المتوفي سنة 734هـ/

---

[1] مسجد ومدرسة الأمير صرغتمش الناصري بناه في القطائع بجوار مسجد أحمد بن طولون مباشرة، ويقع اليوم في شارع الصليبة بحي السيدة زينب بالقاهرة

[2] أنشأها السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب، ما بين عامي 641هـ/ 1243م و647هـ/ 1249م، وتقع في شارع المعز لدين الله وسط القاهرة.

[3] المدرسة القمحية هي مدرسة مالكية أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي بجوار جامع عمرو بن العاص في القاهرة وكانت تدرس المذهب المالكي، وسميت بالقمحية لأنها كانت تخصص جزءًا من أوقافها لفقهاء المذهب المالكي القمح.

[4] المدرسة البرقوقية بناها السلطان المملوكي الظاهر برقوق بين عامي 1384 و 1386م (786-788هـ) بالقاهرة.

[5] ابن مريم: المصدر السابق، ص. 248، 250.

[6] المدرسة الفاضلية أنشأها القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني في القاهرة حوالي عام (1180\)م، ووقفها على فقهاء الشافعية والمالكية.

1333م فقد تولى تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية[1] بمصر، كما تولى التدريس بالجامع الأموي بدمشق الفقيه أبو العباس بن أحمد بن فرج الإشبيلي.[2]

ومن الأماكن الهامة التي درس فيها المغاربة والتي لها قيمة كبيرة عندهم هي مكة والمدينة، ومن هؤلاء العلماء أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن غصن الإشبيلي، وأبي بكر بن يوسف بن سيدي الذي تولى التدريس بمكة والمدينة، ومنهم أيضا محمد بن غالب بن يونس الجياني.

ومن الوظائف التي تولاها علماء المغرب القضاء، وخاصة قضاء المالكية، ومن أبرز هؤلاء عبد الرحمان بن خلدون الذي تولى القضاء بمصر، ومحمد بن أبي القاسم الربيعي التونسي الذي تولى القضاء بمدينة دمشق. كما اشتغل المغاربة بوظيفة الطب نظرا لما كان يتمتع به هؤلاء من الخبرة والمعرفة وخاصة العلماء الأندلسيين، ومن الذين اشتغلوا بالطب في المشرق الطبيب عبد المنعم الجليلني، الذي خدم صلاح الدين الأيوبي لفترة طويلة، والطبيب أبو تمام غالب بن محمد اللخمي الأندلسي، الذي عمل بباماريستان القاهرة، وابن الرومية الذي خدم الملك العادل بمصر، والطبيب أبو مروان موسى بن ميمون القرطبي اليهودي، الذي أسلم في المغرب وحفظ القرآن ثم رحل إلى مصر وخدم الناصر صلاح الدين.

أما من علماء الأندلس فقد تولى القضاء كل من أبي عبد الله بن علي بن الأزرق، تولى قضاء المالكية بمصر، وإسماعيل بن محمد بن هانئ اللخمي الغرناطي تولى قضاء المالكية بحماة ببلاد

[1] هي المدرسة البرقوقية المذكورة سابقا والتي درس فيها ابن خلدون وتنسب إلى السلطان الظاهر برقوق.
[2] ابن مريم: المصدر السابق، 178، 192، 233..

الشام، وشهاب الدين أحمد بن مهاجر الوادي آشي تولى القضاء بحلب.[1]

المراسلات العلمية

لقد ساعد انتشار المذاهب السنية في بلاد المغرب والمشرق على تنشيط حركة التبادل العلمي والمراسلات، خاصة ما تعلق منها بالفتوى والاستفسار عن الأمور الدينية، فكان الكثير من علماء المغرب يستفتون علماء المشرق كلما استعصت عليهم مسألة معينة.[2] فمن المشرق مثلا كتب علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي الذي سكن مصر إلى فقهاء القيروان رسالة يدعوهم فيها إلى الاعتزال، والقول بالقدر والمخلوق، وغير ذلك من مذهب المعتزلة، كما كان عبد الله بن غانم قاضي القيروان إذا أشكلت عليه قضية أجل الحكم فيها حتى يراسل مالك بن أنس ويستفسره فيها.

ولم تقتصر ظاهرة الاستفسار على المسائل الفقهية، كما أنها لم تقتصر على الرسائل فقط بل كانت تتم عن طريق الوفود إلى المشرق عندما يلتقون بعلمائه، وهذه المراسلات تدل على قوة العلاقة الثقافية بين العلماء في المشرق والمغرب، وكان لهذه المراسلات العلمية وتبادل

[1] أنظر ترجمة هؤلاء العلماء لدى المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت.1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح. يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، دار الفكر العربي بيروت لبنان، 1998. ج.2، ص. 387، 653، 699.

[2] ومن الأمثلة على ذلك رسالة كتبها سحنون إلى عبد الملك بن الماجشون يذكر له ما حدث في بلاد المغرب من كلام في التشبيه في القرآن ويسأله الجواب، فكان رد ابن الماجشون: ((من عبد الله بن الماجشون إلى سحنون بن سعيد سلام عليك سألتني عن مسائل ليست من شأن أهل العلم والعمل بها جهل، فيكفيك من مضى من صدر هذه الأمة أنهم اتبعوا بإحسان ولم يخوضوا في شيء)). القاضي عياض، بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية بيروت، 1998، ج. 2. ص. 65.

المصنفات تأثيرا إيجابيا على الحياة العلمية في بلاد المغرب والمشرق، كما ساهمت من جهة أخرى في ازدهار الحياة العلمية وكثرة التأليف، وهي دليل أيضا على متانة العلاقة بين العلماء في المشرق والمغرب.

الإجازة العلمية:

الإجازة هي إعطاء الإذن بالإفتاء أو الرواية، وأجاز له أي أذن له، وهي المرتبة الثالثة بعد السماع من الشيخ والقراءة عليه، فيأذن الشيخ لتلميذه بأن يروي عنه ما سمعه أو ما قرأ له من كتب[1]، وتعتبر الإجازة من أعلى الشهادات التي يتحصل عليها الطالب، فهي الوثيقة التي من خلالها يصل إلى مستوى الإفتاء أو التدريس، والإجازة ثلاثة أنواع: الإجازة العرضية، وهي شهادة يمنحها أحد الشيوخ لأحد الطلاب، بعد أن عرض عليه أحد الكتب العلمية، ليتأكد من أنه حفظه، وإجازة الفتوى أو التدريس، وهي شهادة يمنحها الشيخ لأحد الطلبة، بعد أن يختبره في مادة علمية، ويتأكد من أنه فهمها جيدا وإجازة رواية الحديث، وهي شهادة يمنحها أحد شيوخ الحديث وحفاظه لأحد الطلبة، يجيزه فيها برواية ما أخذه عنه من الأحاديث.

ومن شروط الإجازة أن يكون المجيز عالما بما يجيز به، وأن يكون ثقة في دينه وروايته، معروفا بالعلم، وأن يكون المستجيز أو المجاز له من أهل العلم، متسما بسماته، حتى لا يعطى العلم لغير أهله، أي أن الشيخ لا يمنح الإجازة إلا لطالب علم واسع المعرفة، متمكنا من مادته

[1] عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد بغداد، 1967، ص. 21.

محيطا بالتخصص الذي يريد أن يجاز فيه، فتكون الإجازة له بمثابة الإذن له بالرواية عن شيخه، كما تكون ترخيصا للدخول إلى ميدان التعليم والإفتاء أو القضاء.[1]

وقد كان الطلبة يرتحلون من مكان إلى آخر للحصول على هذه الإجازات التي تؤهلهم لتولي منصب علمي معين، لذلك كان الطلبة يحصلون على الإجازة من عدة علماء، لأن كثرة الإجازات تدل على المستوى العلمي، ويذكر ابن عماد الحنبلي أن أبا حيان الغرناطي سمع الحديث فقط من أربعمائة وخمسين شيخا أجازوه كلهم. وتبادل الإجازات يعد مظهرا من مظاهر التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب، ومن الأمثلة أيضا القلصادي الذي ذكر أنه حصل على إجازة في الحجاز من الشيخ أبي الفتح الحسني المراغي، وحصل في مصر على إجازة من الشيخ عبد السلام بن عبد المنعم البغدادي، كما حصل أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي على إجازة من الشيخ شهاب الدين القرافي، والشيخ سيف الدين الحنفي، أما ابن الأبار فقد حصل على إجازة من عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري.[2]

المناظرات العلمية:

تعتبر المناظرات من الوسائل العلمية الهامة، فهي تمكن من تبادل الآراء والنقاش حول المسائل العلمية والفقهية، وللرد على المذاهب والأفكار المخالفة للمذهب الرسمي للدولة، وقد

[1] يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري بالمغرب، دار لسان العرب، بيروت، د. ت، ج.1، ص. 128.
[2] القلصادي، المصدر السابق، ص. 149.

كانت المناظرات تتم أمام الحكام وبتشجيعهم، وقد كثرت المناظرات لكثرة الاختلاف وانتشار المدارس والمؤسسات العلمية التي كانت تعج بالطلاب.

ولقد عرف العالم الإسلامي المناظرات منذ عهوده الأولى، وعند انتشار الإسلام في بلاد المغرب رحل العديد من العلماء والطلبة إلى المشرق الإسلامي، فبدأت المناظرات بين علماء المغرب وعلماء والمشرق، ومن أبرز تلك المناظرات مناظرة محمد بن سحنون من القيروان لأحد اليهود حول الدين الإسلامي، واستمرت المناظرة من صلاة الظهر إلى صلاة المغرب وانتهت بتفوق ابن سحنون، وكانت سببا في إسلام هذا اليهودي[1].

وذكر رشيد السبتي في رحلته أنه دخل في مناظرة مع الفقيه شمس الدين الأصفهاني في قضية لغوية لما حل بمصر، ومن المغرب الأوسط رحل ابنا الإمام أبي زيد عبد الرحمان وأبي موسى عيسى إلى المشرق وناظرا ابن تيمية تقي الدين حول مسائل فقهية، كما ناظر محمد بن عبد الكريم المغيلي جلال الدين السيوطي. ولقد ساهمت المناظرات العلمية في التقريب بين علماء الغرب وعلماء المشرق، كما دلت أيضا على الاحترام المتبادل بين علماء القطرين، مما ساهم في ازدهار الحياة العلمية وتبادل الآراء والأفكار.[2]

---

[1] القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1998، ج.1، ص. 429.

[2] ابن مريم، مصدر سابق، ص. 210.

الكتب والمؤلفات:

كان التأثير الثقافي المشرقي كبيرا على المغاربة والأندلسيين، وكانت كتب المشارقة تصل إلى المغرب فيؤلف المغاربة كتبهم على غرارها، فيقلدونهم ويتبعون مناهجهم ويتناولون نفس موضوعاتهم، ومن الأمثلة على تأثر المغاربة بالمشارقة في التأليف من حيث المنهج والموضوع كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق المسيلي (ت.456 هـ/ 1063م)، وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم الحصري (ت. 453هـ/ 1060م)، و كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت. 326هـ/ 937م)، وهو كتاب ضخم يحتوي على الكثير من النصوص الأدبية المشرقية، على منوال كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، فعلق عليه الصاحب بن عباد[1] بالكلمة الشهيرة حين اطلع عليه: ((هذه بضاعتنا ردت إلينا))، فقد توقع المشارقة أن يجدوا فيه أدبا مغربيا لا يعرفونه لكنهم وجدوا نصوصا مشرقية جمعها ابن عبد ربه الأندلسي، وهذه الكتب الثلاثة لم تذكر من الانتاج الأدبي للمغاربة إلا الشيئي القليل. وألف أبو الحسن علي بن بسام (ت. 542هـ/ 1147م) كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة مقلدا لكتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي.

[1] الصاحب بن عباد، وهو أبو القاسم إسماعيل بن عباد، كان أديبا ووزيرا وعرف بكونه عالما في مختلف العلوم مثل اللاهوت والتاريخ والقواعد واللغة، بالإضافة إلى كونه شاعرا وكاتبا. أنظر ترجمته في: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (995هـ/ م): سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001، ج. 16، ص. 512.

ولم يدم تقليد ومحاكاة المغاربة للمشارقة في مواضيع ومناهج التأليف، اذ سرعان ما ظهرت شخصيتهم العلمية الخاصة في مؤلفاتهم النحوية واللغوية، ككتاب تهذيب اللغة لأبي الحسن علي بن أحمد بن سيده (ت. 458هـ/ 1065م م)، وكتاب المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي. وأما في الفقه فقد أخذ المغاربة فقههم من موطأ مالك بن أنس (ت. 179هـ/ 795م)، ثم ألفوا كتبهم الفقهية مثل كتاب المجتهد ونهاية المقتصد وكتاب المقدمة لابن رشد القرطبي (ت. 520هـ/ 1125م)، وكتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري القرطبي (ت. 548 هـ/ 1153م)، وهو كتاب في تاريخ الأديان المقارنة، وفي علم التفسير تفسير القرآن للقرطبي.

ومن مؤلفات المغاربة الرائجة في المشرق نجد مؤلفات الطرطوشي[1](ت.520 هـ / 1162م) كأصول الفقه، البدع والمحدثات، بر الوالدين، السعود في الرد على اليهود، نظم السلوك في وعظ الملوك، رسالة تحريم الغناء، اختصار كتاب الثعالبي في القرآن[2]. وكذلك راجت مؤلفات أبي عبد الله محمد بن المسلم بن محمد المخزومي كالبيان لشرح البرهان، وتأييد التمهيد وتقييد التجريد، والمهاد في شرح الإرشاد[3]. وأما الشروح، والاختصارات، والتهاذيب

[1] الطرطوشي هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أديب و فقيه مالكي، أصله من طرطوشة بشرقي الأندلس، رحل إلى المشرق سنة 476هـ/ 1083م، فحج وزار العراق، ومصر، وفلسطين، ولبنان وأقام مدة في الشام، ثم توجه إلى الإسكندرية بمصر، وتولى فيها التدريس إلى غاية وفاته..

[2] القاضي عياض (ت. 544هـ/ 1149م): الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تح. ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص. 63.

[3] القاضي عياض، ص. 88.

والرسائل، وردود المغاربة على المشارقة فمن الأمثلة عليها كتب أبي الوليد بن رشد مثل كتابه على الكتب المدونة المسمى بالمقدمات، وتهذيب كتاب الطحاوي واختصار المبسوطة، وشرح البرهان لأبي المعالي الجويني للإمام أبي عبد الله محمد بن علي المازري، وشرح مسلم للإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري.[1]

وأما المؤلفات العلمية المشرقية الرائجة في المغرب فهي كثيرة، فلا يكاد يظهر كتاب في المشرق إلا ووصل إلى بلاد المغرب، ومن أشهر الكتب المشرقية الرائجة في المغرب موطأ الإمام مالك والمسند الصحيح المختصر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وكتاب الطبقات للنسائي. وفي النحو والأدب كتاب الواضح للزبيدي وكتاب المقتضب للمبرد، وكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة، وفي التفسير تفسير أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري[2].

لقد ابتدأ التأليف في المغرب متأثرا بالتأليف في المشرق إلى درجة التقليد، ثم استوعب المغاربة مختلف العلوم عن طريق تواصلهم بالمشارقة وانتقلوا إلى التأليف بشخصية علمية مغربية خالصة، وساهموا في إثراء الفكر والثقافة في العالم الإسلامي.

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ص. 54، 65.

[2] المصدر نفسه، ص. 32، 41، 141، 143، 144.

المحور الرابع:

المذاهب والفرق وتأثيراتها الثقافية بين المغرب والمشرق الإسلامي

المذاهب الفقهية:

بدأت المذاهب الإسلامية في الوصول إلى المغرب أوساط القرن الثاني الهجري، وانتشرت في النصف الأخير منه، والمعروف تاريخيا أن المذهبين الأوزاعي والحنفي كانا أسبق المذاهب دخولا إلى إفريقية والأندلس، وظل المذهبان معمولا بهما في بلاد المغرب مدة من الزمان، إلى أن بدأ طلاب هذه البلدان يرحلون نحو المشرق، بقصد أخذ العلم الرواية عن الفقهاء والعلماء، وبما أن وجهة رحلتهم كانت الحجاز وإمامها هو الإمام مالك بن أنس؛ فكان من الطبيعي أن يتأثروا بهذا المذهب وبصاحبه[1].

وكان ببلاد المغرب عدد قليل من أتباع المذهب الشافعي، كما دخلها المذهب الظاهري[2] الذي شاع في الأندلس[3]. وفي عهد الأغالبة لقي المذهب الحنفي رعاية واهتمام من قبل أمراء هذه الدولة، فتولى فقهاء الحنفية المناصب والقضاء، ولما قامت الدولة الفاطمية ببلاد المغرب حاولت نشر وتعميم المذهب الشيعي الإسماعيلي، حتى جاء عهد المعز بن باديس[4] فشجع

[1] ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد (ت. 808هـ/ 1406م): المقدمة، تح. عبد الله محمد الدرويش، د. د دمشق 2004،ج. 2، ص. 186.

[2] توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي: المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها أعلامها أصولها وأثرها، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2006، ص. 76.

[3] القاضي عياض، ابو الفضل بن موسى (ت.): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تح. احمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دار الفكر، طرابلس، ليبيا، 1967، ج2، ص.54.

[4] المعز بن باديس، أبو تميم، شرف الدولة، الصنهاجي، من أهم وأبرز أمراء دولة بني زيري لما لعبه من دور في تغيير مجرى تاريخ المغرب الإسلامي واستمر حكمه بإفريقية والقيروان مدة سبعة وأربعون سنة، وهي أطول فترة في العهد الزيري إذ حكم بين 406-453هـ/1015-م1061.

الناس على العودة إلى المذهب المالكي، فطرد الشيعة الإسماعيلية، وقضى على الصراع بين المذهب المالكي والمذهب الحنفي، لما رأى أن المذهب المالكي كان أكثر انتشارا بين المغاربة[1].

وفي أواخر القرن الثاني الهجري كان مذهب الإمام الأوزاعي[2] في الأندلس، قد أخذ في الانحسار فاسحا المجال لمذهب الإمام مالك، ولم يبق متمسكا به إلا فقهاء قليلون وجماعة قليلة العدد، ويذكر المقري في هذا الصدد: ((إن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي وأهل الشام منذ الفتح ... انتقلت الفتوى إلى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة، فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والأندلس جميعا، وذلك برأي الحكم واختياره))[3].

كان مذهب الأوزاعي منتشرا في الشام بالمشرق وبالأندلس في المغرب، ثم بدأ في الانحسار في الشام وحل محله المذهب الشافعي، فأثر ذلك على انتشاره في الأندلس وبدأ بالانحسار أيضا أمام المذهب المالكي، الذي نشط أنصاره وتلاميذه في الأندلس مع رجوع المهاجرين من طلبة العلم من الحجاز بالمشرق، فعم المذهب المالكي بلاد المغرب رغم محاولة دولة الموحدين تشجيع المذهب الظاهري[4]، ومحاربة المذاهب الأخرى خاصة المذهب المالكي، الذي كان

---

[1] البيان المغرب، ج. 1، ص. 268؛ مخلوف، محمد بن محمد (ت. 1360هـ/1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية التتمة المطبعة السلفية ومكتبتها، 1930، ج. 2، ص. 129.

[2] الإمام الأوزاعي هو أبو عمرو عبد الرحمان بن عمر الأوزاعي إمام أهل الشام أحد الفقهاء الأعلام الذين أثروا في مسيرة الفقه الإسلامي خاصة في بلاد الشام والأندلس ، أنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك)ت. 764هـ/ 1362م(: الوافي بالوفيات، تح. أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار التراث العربي، 2000 ج.18. ص. 123.

[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج. 3، ص. 230.

[4] ظهر في المشرق على يد داود الظاهري (ت. 270هـ/883م)، ثم جدده وأعطاه شهرة واسعة ابن حزم الأندلسي(ت. 456هـ/1064م).

مذهب دولة أعدائهم المرابطين. وبعد سقوط دولة الموحدين عاد المذهب المالكي إلى بلاد المغرب وأصبحت كتب المالكية هي أساس التدريس، ومنها كتاب الموطأ للإمام مالك والمدونة للإمام سحنون، والرسالة للأبي زيد القيرواني، كما أدخل العلماء بعض الكتب الأخرى من بلاد المشرق، منها مختصر ابن الحاجب، ومختصر خليل[1]. وهكذا شهدت بلاد المشرق والمغرب وحدة مذهبية سنية مالكية واختفت المذاهب الأخرى.

العقيدة الأشعرية:

ينسب المذهب الأشعري إلى مؤسسه أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(ت. 324هـ/ 935م). ويقوم منهج الأشاعرة على إعطاء الأولوية للنقل، فالنظر العقلي مشروع في أمور العقائد، إلا أن العقل تابع للنقل. وأما دخول مبادئ العقيدة الأشعرية إلى الغرب الإسلامي فكان في أواخر القرن الرابع الهجري، وتشير بعض النصوص أن من أوائل من حملوا العقيدة الأشعرية إلى المغرب أبو ميمونة دراس ابن إسماعيل الفاسي[2] الذي درس بالقيروان وعلم القيروانيين طرق المناظرة بالمنهج الأشعري، وظلت العقيدة الأشعرية محدودة الانتشار، واكتفى أصحابها بنقل بعض آراء الإمام الأشعري، أو آراء تلاميذه، ونظرا لخلو المغرب من الصراع العقائدي الذي يؤدي إلى المناقشات الكلامية، ونظرا أيضا لتمسك المغاربة بالمذهب المالكي

[1] ألفه الشيخ ابن اسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري، وهو مصنف في الفقه المالكي استغرق في تأليفه خمسة وعشرون سنة.

[2] المكناسي، أحمد بن القاضي (ت. 1085هـ/ 1674م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973، ص. 194.

الذي ساندته ورعته الدولة المرابطية[1]، لم تعرف العقيدة الأشعرية انتشارا كبيرا في بلاد المغرب يقول الناصري في كتابه الاستقصا: ((وأما حال المغاربة في الأصول والاعتقادات، فبعد أن طهرها الله تعالى من نزعة الخارجية أولا، والرافضة ثانيا، أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة، مقلدين للجمهور من السلف، في الإيمان بالمتشابه، وعدم التعرض له بالتأويل، مع التنزيه عن الظاهر، واستمر الحال على ذلك إلى أن ظهر ابن تومرت، في صدر المائة السادسة، فرحل إلى المشرق، وأخذ عن علمائه، مذهب أبي الحسن الأشعري الذي يقول بتأويل المتشابه من الكتاب والسنة))[2]، وهذا النص يبين أن ابن تومرت كان له ولخلفائه من بعده دور كبير في ترسيخ العقيدة الأشعرية كمذهب رسمي بالمغرب في عهد الموحدين في القرن السادس الهجري.

ولقد لعبت الرحلة في طلب العلم دورا حاسما في تلقي علماء المغرب المذهب الأشعري إلى جانب الفقه والحديث، خصوصا مع ظهور أعلام كبار أمثال الباقلاني[3] الذي كان من أشهر فقهاء المذهب المالكي وأصوله، ومن أشهر المتكلمين على طريقة الأشاعرة، فقد كان المغاربة يقصدونه لمالكيته، فيأخذون عنه الفقه والأصول، كما يأخذون عنه العقيدة الأشعرية.

---

[1] إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب إلى القرن العاشر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 2000، ص. 376.

[2] الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ج1، ص.197.

[3] هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني المالكي العراقي، فقيه ومحدث ومتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة وطريقة الأشعري.

الخوارج:

وصل دعاة مذاهب الخوارج من المشرق إلى بلاد المغرب الإسلامي وبثوا دعوتهم بين المغاربة ولم يكد ينتصف القرن الثاني الهجري حتى انتشرت دعوة الخوارج في جميع أرجاء المغرب. واحتاجت مذاهب الخوارج للانتشار في بلاد المغرب الإسلامي، إلى دعاة على دراية ومعرفة بعقائد هذه المذاهب، ومواقفها من الحكام، واتجاهاتها الفقهية، ولقد قام بهذا الدور بالإضافة الى دعاة الخوارج المشارقة[1] رجال من بلاد المغرب الإسلامي، بعد أن رحلوا إلى بلاد المشرق واطلعوا على مذاهب الخوارج ومبادئهم وآرائهم وفقههم، مثل بعثة حملة العلم[2] التي أقامت ببلاد المشرق خمس سنوات، ثم عاد أعضاؤها إلى القيروان عاصمة بلاد المغرب، وجلسوا للتدريس في مساجدها، ونشروا ما تعلموه بين المغاربة. واستمر التواصل بين خوارج المغرب وخوارج المشرق، فكانت كتب هؤلاء تصل إلى بلاد المغرب، ورحل بعضهم للتدريس فيها كما استمر تنقل خوارج المغرب إلى حواضر المشرق للقاء علماء الخوارج، وأدى هذا التواصل إلى بروز عدد من خوارج المغرب في الفقه والتأليف، وأحصى منهم محمود إسماعيل عبد الرازق

[1] مثل عكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سعيد.

[2] حملة العلم الخمسة الذين وفدوا من بلاد المغرب على إمام الخوارج الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة في العراق وهم: أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعبد الرحمان بن رستم، وعاصم الصدراتي، وأبو المنيب إسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي. أنظر: يوسف البراشدي: حملة العلم إلى المغرب ودورهم في الدعوة الإسلامية، دار الجيل بيروت، د. ت ، ص. 22 وما بعدها.

كل من: الشيخ مهدي النفوسي، وابن ياس، وأبو حسن البدلاني، وعبد العزيز بن الأوز ويعقوب بن سيلوس الورجلاني.[1]

أدى انتشار مذاهب الخوارج في بلاد المغرب إلى تنشيط الحركة الفكرية، فكثرت المناظرات بينهم وبين فقهاء المذهب المالكي والمذهب الشيعي الإسماعيلي وفرقة المعتزلة[2]، وكانت هذه المناظرات امتداد لتلك التي كانت تجري بين الخوارج والمذاهب الأخرى في المشرق، ومما نتج عن هذه المناظرات في بلاد المغرب حدوث تحالف بين المذهب المالكي والسنة عموما وبين الخوارج في التصدي للشيعة الإسماعيلية، رغم الاختلاف العقائدي بين الطرفين، وكان الخوارج قد تصدوا بقوة لحركة التشيع الإسماعيلي، فعاملتهم الدولة الفاطمية بقسوة وعنف من مظاهره احراق مكتبة المعصومة بتيهرت، واضطهاد الخوارج حتى انحسر نطاقهم في أمكان ضيقة بصحراء المغرب الأوسط وجبل نفوسة.

[1] أنظر: محمود إسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط. 2، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص. 42 وما بعدها.

[2] يوسف البراشدي: مرجع سابق، ص. 15.

التصوف:

رغم أن التصوف ظهر في بلاد المشرق حوالي القرن الثاني الهجري، وكان بمعنى الزهد والانصراف عن الدنيا ومتاعها، والعناية بأمور الدين، وغايته الظفر برضوان الله تعالى، وكان الزهد هو النواة الأولى للتصوف ثم تطور بعد ذلك بعد خروجه عن المفهوم الديني المحض.[1] لقد دخل التصوف إلى بلاد المغرب عن طريق المرتحلين إلى بلاد المشرق، فبعد اطلاعهم على حركة التصوف في المشرق نقلوا بعض مصنفاته إلى المغرب، وأبرزها كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.

ونظرا لانتشار التصوف في المشرق فقد رحل العديد من رجال التصوف من بلاد المغرب إلى المشرق، ومن هؤلاء ابن سبعين الأندلسي وأبو الحسن الششتيري، صاحب كتاب المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، ومن العوامل التي شجعت على انتشار التصوف سواء في المشرق أو المغرب هو كثرة الاعتقاد في رجاله، فوجد هؤلاء الظروف المناسبة لنشر أفكارهم، إضافة إلى تقريب الحكام والسلاطين لرجال التصوف من مجالسهم، فأسسوا لهم الزوايا والربط وتحبيس الأموال والغلات عليها. ومن أبرز الطرق الصوفية التي انتشرت في المشرق والمغرب الطريقة القادرية التي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت.561هـ/ 1165م) التي انتشرت في العراق والشام ومصر، ثم انتقلت الى بلاد المغرب، وقد أخذ هذه الطريقة أبو

[1] ابن تيمية، تقي الدين (ت 728هـ/ 1327م): مجموع الفتاوي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الرياض، السعودية 2001، مج. 11، ص. 6، 7.

مدين شعيب الأندلسي، وقد تفرع عن هذه الطريقة العديد من الطرق الأخرى في المشرق والمغرب.[1]

والطريقة الشاذلية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي، الذي يعود أصله إلى بلاد المغرب ورحل إلى مصر، وقد عرفت هذه الطريقة رواجا كبيرا خاصة في بلاد المغرب، وتعد امتدادا لطريقة أبي مدين شعيب.[2]

إن انتشار التصوف في المغرب والمشرق يدل على ذلك التواصل الثقافي الكبير بينهما، فقد تعددت اللقاءات بين رجال التصوف من القطرين، وتأثر بعضهم ببعض، وتبادلوا مؤلفات التصوف، كما أن بعض متصوفة المغرب تولوا التدريس والإمامة بالمؤسسات الدينية في المشرق، وأصبح لهؤلاء أثر كبير في المجتمع وحتى لدى السلاطين.

[1] حسن الشافعي: فصول في التصوف، دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص.145.

[2] خالد بن ناصر العتيبي: الطريقة الشاذلية، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 2011، ص. 47.

المحور الخامس:

العمارة الإسلامية مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق الإسلامي

الحواضر الإسلامية:

كان للحواضر الإسلامية في المشرق والمغرب مساهمة ودور كبير في انتقال العلوم والمعارف ومختلف المظاهر الثقافية بين جناحي العالم الإسلامي، لكونها مراكز جذب سكاني احتوت على المؤسسات والمراكز العلمية والدينية، ولكونها أيضا محطات تجارية كبرى، بالإضافة إلى كونها محطات أساسية في طريق الحج، فكانت بحق قبلة للتجار وللعلماء ولطلاب العلم انصهرت فيها ثقافات الشعوب الإسلامية المختلفة مشرقا ومغربا.

ونظرا لشساعة مساحة العالم الإسلامي وامتدادها في عدة قارات وبيئات مختلفة فقد ارتبطت حواضر العالم الإسلامي بطرق برية طويلة جعلت الارتحال عبرها شاقا ومحفوفا بالمخاطر، وإذا تتبعنا هذه الطرق من المغرب إلى المشرق فسنجدها كانت تبدأ من الأندلس غربا مرورا بشمال المغرب الأقصى ثم شمال المغرب الأوسط والأدنى مساحلة حتى تصل إلى برقة ومنها إلى الإسكندرية ثم القاهرة بمصر، ومن مصر إلى الشام والعراق والحجاز، أو من القاهرة عبر نهر النيل إلى عيذاب (شمال السودان الحالي) ومنها إلى مدينة جدة عبر بحر القلزم، وهناك طريق موازي بعيدا عن الساحل يمتد في صحراء المغرب الأدنى وصولا إلى مصر، وهو أكثر مشقة وصعوبة من الطريق الساحلي لقلة المحطات وغياب الأمن، ونظرا لمشقة وصعوبة هذين الطريقين البريين يسلك بعض المرتحلين طريقا بحريا ينطلق من موانئ المغرب وصولا إلى الإسكندرية ثم سلوك الطريق البري إلى الشام، أو الطريق النهري إلى عيذاب ومنها إلى الحجاز. وتستغرق الرحلة سواء كانت برية أو بحرية ذهابا وإيابا وقتا ليس بالقصير، قد يدوم

أشهرا أو سنة وسنتين، يمر المرتحل خلالها على عدة حواضر وقد يقيم في بعضا أياما أو أشهرا، كطنجة ،وسبتة، وفاس، والقيروان والقاهرة، وبيت المقدس، وبغداد، ومكة، والمدينة ومن أشهر وأهم الحواضر التي كانت في طريق الرحلة بين المغرب والمشرق، ولعبت دورا كبير في التواصل الفكري والثقافي بينهما، نذكر ما يلي:

أ ــ حواضر المغرب:

منذ استقرار الفتح الإسلامي في بلاد المغرب وضمه وتبعيته للخلافة في المشرق ازدهر التطور العمراني متمثلا في ظهور المدن وانتشارها في أقطار المغرب واتساعها بمن وفد إليها من المشارقة والمغاربة، ففي المغرب الأدنى ظهرت وازدهرت كل من القيروان وتونس، وتيهرت وتلمسان في المغرب الأوسط، وفاس ومراكش في المغرب الأقصى، أما في الأندلس التي تميزت بكثرة حواضرها فكانت أشهرها قرطبة واشبيلية وطليطلة ومالقا وغرناطة وغيره. ولعبت هذه الحواضر بما توفر فيها من مراكز علمية وثقافية دورا هاما في النهضة الثقافية والفكرية في بلاد المغرب وفي التواصل بين العلماء في جناحي الأمة الإسلامية. وسنستعرض أهم هذه الحواضر التي ربطت المغرب بالمشرق ثقافيا وحضاريا.

حواضر المغرب الأدنى:

القيروان[1]: تعد القيروان أهم حواضر المغرب وأشهرها[2]، فهي كانت قاعدة الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس اختطها عقبة بن نافع الفهري على نسق شقيقاتها البصرة والكوفة في المشرق، وبعد استقرار الفتح ازدهرت القيروان لتكون مقر ولاة المغرب وأول حاضرة بنيت في الإسلام في إفريقيا وعموم المغرب.

وأدى القرب الجغرافي للقيروان من المشرق حيث كانت أول حاضرة تصادف القادم من المشرق إلى جعلها معلما هاما في طريق الرحلة من والى المغرب نحو المشرق، ففيها كان ملتقى قوافل الحجيج القادمة من الأندلس ومن المغربين الأقصى والأوسط لتكون قافلة حج واحدة، وقصدها للإقامة فيها من المشرق والمغرب التجار والعلماء وخاصة فقهاء المذهب المالكي وأشهرهم بهلول بن راشد وعلي بن زياد وسحنون بن سعيد التنوخي بل وحتى فقهاء الحنفية كأسد بن الفرات، وقصدها للإقامة والتدريس بها من المشرق فقهاء المالكية من الحجاز كالفقيه عبد العزيز بن يحيى الهاشمي، ومن مصر الفقيه أبو يحيى زكرياء الوقار، وإلى جانب الفقه وعلوم الدين ازدهرت العلوم العقلية كذلك، فكان يدرس بها الطب وتترجم فيها الكتب إلى العربية في مسجدها الجامع والمساجد الأخرى وأنشئت فيها دار للعلوم أطلقت عليها

[1] محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، 1988، ص. 87 وما بعدها؛ إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ت، ص. 239.

[2] جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر. محمود عبد الصمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 1999، ص. 44.

تسمية دار الحكمة قصده طلبة العلم من المغرب والأندلس، ولا شك أن طلبة العلم من المشرق قد قصدوها لشهرة علم الطب في المغرب.

تونس[1]: وإلى جانب القيروان احتلت تونس مكانة هامة، ظهرت بعد القيروان بزمن قليل واتخذها ولاة افريقية مقرا لهم، ومؤسسها هو قائد الفتح وعامل إفريقية حسان بن نعمان الغساني الذي ارتأى أن ينشئ قاعدة ساحلية لمواجهة الحملات البيزنطية سنة 84هـ/ 703م[2]، ثم ازدهرت تونس وتطور عمرانها وكثر ساكنوها وتأسس فيها جامعها الأعظم المعروف بجامع الزيتونة على يد الوالي عبيد الله بن الحبحاب سنة 116هـ/ 734م، وهو الجامع الذي كان مركزا علميا كبيرا في المغرب الأدنى.[3]

واشتهرت تونس بعلمائها أمثال خالد بن عمران التجيبي المتوفي سنة 127هـ/ 744م وهو من علماء الحديث، وعلي بن زياد العبسي المتوفي سنة 183هـ/ 799م الذي أدخل إلى المغرب كتاب الموطأ للإمام مالك، والفقيه العلامة زيد بن بشر الأزدي المتوفي سنة 242هـ/ 856م فقيه المغرب الأول الذي تتلمذ على يديه العديد من فقهاء المغرب.

---

[1] حول حاضرة تونس ينظر بحث لعبد العزيز الدولاتي: مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سراس للنشر، تونس 1981؛ إسماعيل العربي: المرجع سابق، ص. 216.

[2] حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ،ص. 56.

[3] ظل جامع الزيتونة مركزا للإشعاع العلمي إلى غاية العصر الحديث.

وفي عهد الحفصيين 627ـ 976هـ/ 1228ـ 1569م ازدهرت تونس[1] لاتخاذهم إياها عاصمة لحكمهم ومقرا لسلاطينهم وخلفائهم، وأصبحت أهم محطة في طريق الرحلة بين المغرب والمشرق وقصدها العلماء والطلبة وراج فيها علم الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس واحتلت كل من رسالة أبي زيد القيرواني ومدونة سحنون وشروحهما الصدارة في التدريس، في حين لم يجد علم الحديث والتفسير الرواج الذي وجده علم الفقه.

كما راج في تونس تدريس النحو بشكل خاص لاعتماد الفقه على اللغة العربية السليمة ووجد الأدب الرعاية ودرست كتب النحو والأدب كالجمل للزجاجي والمفصل للزمخشري وديوان الحماسة لأبي تمتم ومقامات الحريري وغيرها. وأما كتب علوم الطبيعة والفلك والحساب فقد حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والدرس لحاجة المسلمين لمعرفة الأوقات الشرعية للصلاة والصوم واتجاه القبلة، وفرض علم الفرائض والمواريث تدريس علم الحساب.

حواضر المغرب الأوسط:

تيهرت[2]: تعد تيهرت من أقدم وأهم حواضر المغرب الأوسط، أسسها الرستميون سنة 143هـ/ 761م[3] واتخذوها مقرا لحكمهم وحاضرة دولتهم، وأتاح لها موقعها على تقاطع الطرق التجارية بين الأندلس والمغرب الأقصى وإفريقية من جهة ومن جهة أخرى بين شمال

[1] حول تونس أنظر دائما عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق.

[2] إسماعيل العربي: المرجع سابق، ص. 143.

[3] محمد موسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت، 1987، ص. 95.

المغرب والسودان الغربي أن تكون مقصدا للتجار الناس من المشرق والمغرب، وانتقل اليها الإباضية من العراق و المشرق بحثا عن الأمان الذي افتقدوه ولم تقتصر ساكنتها على الاباضية، انما جذبت اليها اتباع المذاهب الأخرى نظرا لما عرف به أئمتها من التسامح وتشجيع التجارة والحركة العلمية والثقافية، فأصبحت تيهرت قبلة لطلبة العلم لما توفر فيها من علماء الإباضية في فقه مذهبهم وفي تفسير القرآن ومن مراكز علمية كمساجدها المتعددة مسجد القرويين ومسجد البصريين ومسجد الكوفيين[1]، أما المكتبات فقد أنشئت في تيهرت مكتبة سميت المعصومة والتي احتوت على أزيد من ثلاثمئة كتاب في مختلف العلوم استفاد منها المغاربة والاندلسيون الذين وجدوا في تيهرت ومكتبتها فرصة للحصول على نسخ من مؤلفات المشارقة. كما تميزت تيهرت بكونها ملتقى لعلماء المذاهب المختلة من المغرب ومن المشرق وكان التنافس على أشده بين المذاهب الإسلامية داخل تيهرت ولقد أشار إلى ذلك ابن الصغير في كتابه أخبار الأئمة الرستميين: ((ومن بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم لم يطالب بعضهم ولا سعى بعضهم ببعض وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئاً...))[2]. وقد اتخذت هذه المنافسة شكل مناظرات بين الإباضية والمالكية والصوفية والمعتزلة ولا شك أن هذا الجو جعل من تيهرت حاضرة علمية وثقافية مهمة في التواصل بين المشرق والمغرب.

---

[1] ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت ص.31.

[2] ابن الصغير: مصدر سابق، ص. 19.

تلمسان[1]: تعتبر تلمسان ثاني أقدم وأهم حواضر المغرب الأوسط بعد تيهرت، وعرفت هذه المدينة بالزيانيين وعرفوا بها كحاضرة لدولتهم منذ سنة 633هـ/ 1235م، وكان للاستقرار السياسي الذي عرفه المغرب الأوسط في العهد الزياني دو كبير في ازدهار تلمسان في هذا العهد، إلى جانب موقعها القريب من المغرب الأقصى مما جعلها محطة هامة في طريق الرحلة من وإلى المغرب والأندلس، حيث اتسع عمرانها وكثر ساكنوها وقصدها الناس من المغرب والأندلس والمشرق.

وكانت تلمسان حاضرة ثقافية وعلمية بامتياز، حيث حظيت باهتمام ورعاية السلاطين الزيانيين للعلم والثقافة، فتعددت مراكزها العلمية كالمساجد حيث كان المسجد من الأماكن الرئيسية لنشر الثقافة الإسلامية، فالمسجد كان مركزا ثقافيا إلى جانب كونه دار عبادة ومعهدا للتعليم، ومن أهم المساجد التي كانت بتلمسان في العهد الزياني جامعها الأعظم الذي بني سنة 473هـ/ 1080م[2]، ومسجد أبي الحسن ويقع بالقرب من المسجد الأعظم 696هـ/

[1] حول حاضرة تلمسان أنظر: يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط،، وزارة الثقافة، الجزائر،2007، ص. 15 وما بعدها؛ إسماعيل العربي: المرجع سابق، ص. 133.

[2] فيلالي، عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، د. د، الجزائر، 2002م، ج.2.، ج1، ص.146.

1296م[1]، ومسجد أولاد الإمام[2] وتم بناءه حوالي سنة710هـ/1311م، الى جانب مساجد أخرى كمسجد سيدي إبراهيم المصمودي و مسجد سيدي أبي مدين شعيب بالعباد، ومسجد سيدي الحلوي أما المدارس فكانت في تلمسان عدة مدارس منها مدرسة ابني الإمام التي تأسست سنة (710هـ/1310م)، وهي أول مدرسة بنيت بتلمسان والمدرسة التاشفينية أنشأت سنة 728هـ/ 1327م[3]، والمدرسة اليعقوبية ومدرسة أبي مدين بالعباد.

أما المكتبات فلقد أنشأ سلاطين بني زيان في تلمسان مكتبة عامة بالجامع الكبير سنة 760هـ/ 1358م، وكانت هذه المكتبة تزخر بالكتب المختلفة من علوم وفنون. ومكتبة خاصة بالسلطان أبي زيان محمد الثاني بن أبي حمو(796-801هـ/1394- 1399م)

[1] فيلالي: المرجع السابق، ص. 146..

[2] أولاد الإمام، هما الأخوين أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى، عالمين فقيهين، أبناء الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام، من أهل برشك، اشتهر الأخوان بالعلم والرئاسة، بحيث لم يكن في المغرب العربي من أعظم وأعلم منهما رحلا إلى تونس بعد اغتيال والدهما، لتلقي العلم هناك، وبعد انتهاء رحلتهم العلمية توجها إلى بلدتهما برشك، ارتحل العالمان الى مليانة فلتقيا بأبي حمو موسى الذي اعتنى بهما ورفع من شأنهما. فوزية سعاد بوجلابة، المجمع المعماري أولاد الإمام في عصر السلطان أبي حمو موسى الأول بتلمسان، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 05 العدد 01، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011م ص.161 ،162..

[3] محمد لخضر عوامي، المدرسة التاشفينية، بتلمسان جوهرة الفن الزياني، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية الجزائر، المجلد 5، العدد 2، ديسمبر 2021م، ص.944،945.

وكانت عبارة عن خزانة للكتب بالقسم الأمامي من الجامع الأعظم بتلمسان، وكانت تضم مجموعة من المؤلفات[1].

حواضر المغرب الأقصى:

فاس[2]: بنيت فاس في عهد حكم الأدارسة للمغرب على يد عهد إدريس الأول حينما استقر على الضفة الغربية لنهر فاس وذلك سنة 172هـ/ 789م، ثم نمت وازدهرت حتى صارت حاضرة المغرب في عهد إدريس الثاني سنة173هـ/ 808م، ثم انتقل الى فاس للإقامة بها عدد كبير من الأندلسيين الفارين بعد حادثة الربض الشهيرة سنة 189هـ/ 804م والذين قدر عددهم ابن أبي زرع بثمانية آلاف بيت استقروا في الجزء الغربي من المدينة وعرف باسمهم حي أو مدينة الأندلسيين [3]، ثم ازداد عدد الوافدين وظهر حي جديد على الضفة الشرقية للوادي سمي بحي القرويين ومن هذين الحيين تشكلت حاضرة فاس وجاء وذكرها البكري في المسالك والممالك بأنها تتكون من مدينتين مختلفتين، ويحيط بكل منها سور، كما يفصلهما نهر شديد التيار.[4]

---

[1] خالد ضو، مظاهر الحركة العلمية في الدولة الزيانية وآثارها، مجلة الذاكرة، مج. 5، عدد.2، جامعة الجزائر، 2022 ص.78.

[2] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص. 94؛ حول مدينة فاس أنظر سعدون عباس عبد الله: دولة الأدارسة في المغرب دار النهضة العربية، بيروت، 1987، ص. 57 وما بعدها.

[3] ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط 1972، ص. 47.

[4] البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (478هـ/ 1085م): المسالك والممالك، تح. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج.2، ص. 298.

أدت الكثافة السكانية وتعدد عناصر السكان إلى جعل فاس من أكبر الحواضر في بلاد المغرب الإسلامي، حيث حملت إليها ثقافات متعددة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وخاصة من الأندلس ومن المغرب الأدنى (القيروان)، الذين انتقلت اعداد منهما إلى فاس وانتشر فيها المذهب المالكي وكثر فقهاؤه، وانتشرت كذلك مختلف العلوم العقلية والنقلية خاصة بعد تأسيس جامعتها الشهيرة المعروفة بجامع القرويين التي قصدها العلماء منذ عهد مؤسسها إدريس الثاني الذي كان يرحب بالعلماء الوافدين إليه من الأندلس، فعين منهم عمير بن مصعب الأزدي (ت. 225هـ/ 840م)، في منصب الوزارة، وجعل على القضاء الفقيه محمد بن سعيد القيسي، وسار أمراء الأدارسة على هذا النهج من الترحيب بالعلماء واتخاذهم بطانة، فازدهرت الحركة الفكرية خاصة وأن شمال المغرب والأندلس كان يعيش طفرة فكرية في ظل الحكم الأموي. وجلبت فاس إليها طلبة العلم سواء المغاربة أو القاصدين لها فكانوا خليطا من المغاربة والأندلسيين والمشارقة، فنشطت الدروس والمناظرات العلمية في جامع عدوة الأندلسيين وفي جامع القرويين، فاكتسبت طابعها الخاص، وصارت عاصمة سياسية وثقافية، حتى وصفها العمري في كتاب المسالك بأنها تشبه دمشق وغرناطة، وأهلها يشبهون أهل الإسكندرية، في المحافظة على علوم الشريعة، والقيام بالناموس، وتغيير المنكر.[1]

[1] العمري، ابن فضل الله أحمد بن يحي (ت. 750هـ/ 1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح. كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج. 4، ص. 92.

2– **سجلماسة**[1]: تعتبر سجلماسة ثاني مدينة إسلامية تم بناؤها في المغرب الإسلامي بعد مدينة القيروان، وهي مدينة تاريخية شيدت في صحراء المغرب الأقصى، اختطها بنو مدرار الخوارج الصفرية في أواسط القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي، وبالضبط في سنة 140 هـ/ 757 م، وصف ابن حوقل أبنيتها فقال: ((...وأبنيتها كأبنية الكوفة إلى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية))[2] ،وكثرت فيها المساجد[3] المتقنة البناء ولها صحن داخلي واسع ومحراب، وتتوفر على مئذنة مربعة، ودار للوضوء، إلى جانب بيوت لإيواء الطلبة، تطورت فيها الحركة الثقافية حيث كانت منارة لرجال العلم والأدب، الذين كانوا يتناظرون في المسائل الدينية والمذهبية والفكرية بين الخوارج والسنة والشيعة والصوفة، وساهموا أيضا في نشر تعاليم الإسلام في السودان الغربي، وقد شكل المسجد آنذاك مركزا مهما للتعليم في أمور الدين والدنيا.

[1] حول سجلماسة أنظر: لحسن تاوشيخت: عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2008.

[2] ابن حوقل: مصدر سابق، ج.1، ص. 91.

[3] المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت. 380هـ/): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003، ص. 182.

حواضر الأندلس:

قرطبة[1]: اشتهرت أيام الحكم الإسلامي للأندلس، ولقد ذكرها الكثير من المؤرخين العرب في كتاباتهم ومنهم ياقوت الحموي[2]، حيث كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي عاصمة لدولة الأندلس، ويستضيء الماشي بسراجها من على بعد عشرة أميال، وبلغ عدد سكانها حوالي المليون نسمة بينما كانت أكبر مدينة في أوروبا لا يزيد سكانها عن ربع مليون نسمة، وكان عدد حماماتها العمومية ومرافقها وبيوتها حوالي مائتين وثلاث وثمانون ألف، وبلغ عدد قصورها ثمانون ألفا، وكان فيها مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، وتحتوي المدينة على خمسين مستشفى، وفيها ستمئة مسجد ومن أهم مساجدها مسجد قرطبة، والذي لم يوجد له مثيل أو نظير في الفخامة والزخرفة وروعة البنيان. ولكن لم يعل شأن قرطبة إلا مع قدوم الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس فارا من العباسيين فاستولى على مقاليد الأمور في الأندلس الإسلامية وجعل قرطبة عاصمة له سنة 139هـ/ 756م. وقد كان هذا بداية لعصر قرطبة الذهبي، حيث أصبحت عاصمة الأندلس الإسلامية بأكملها وأهم مدينة فيها[3]، وفي عهد الداخل بدأ العمل على جامع

---

[1] حول قرطبة أنظر: السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، مصر، 1985، ص. 29 وما بعدها.

[2] الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت. 626هـ/ 1229م):. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت، مج. 4، ص. 324.

[3] طه عبد العزيز وآخرون: مراكز الحضارة الإسلامية، ط. 2، دار الاتحاد التعاوني للطباعة، القاهرة، 2009، ص. 341.

قرطبة الكبير الذي لا زال قائماً في المدينة اليوم. واستمر الحكم بيد الأمويين من سلالة عبد الرحمن الداخل في هذه الفترة.

اشبيلية[1]: فتح المسلمون إشبيلية في شعبان سنة 94هـ/ 713م بقيادة موسى بن نصير وعين عليها عيسى بن عبد الله الطويل واليا سنة 95هـ/ 714م، ثم اتخذها عبد العزيز بن موسى بن نصير عاصمة لحكمه. وفي سنة 97هـ/ 716م وولى الأندلس من بعده أيوب بن حبيب اللخمي فنقل العاصمة إلى قرطبة، اشتهرت إشبيلية أثناء حكم المسلمين للأندلس، وكان يطلق عليها اسم (حمص) بسبب لنزول الجند الشام من حمص فيها أول مرة. وفي أواسط القرن التاسع الميلادي أمر عبد الرحمن الأوسط ببناء أسطول بحري ودار لصناعة الأسلحة فيها. وكان من أشهر حكامها المعتمد بن عباد، ومن أهم معالمها المئذنة التي بنيت بأمر من السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي. ومن أبرز سكانها حينذاك ابن سهل الأندلسي المشهور بديوانه. وتشتهر المدينة بأنها مدينة الفن والطرب في الأندلس، ولذلك كانت مقصدا للعلماء والطلبة من المغرب ومن المشرق.

[1] عن اشبيلية أنظر: سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط. 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1999، ج. 2، ص. 217 وما بعدها.

ب ـ حواضر المشرق:

ـ القاهرة[1]والإسكندرية[2] : كانت مصر محطة ضرورية في طريق الرحلة بين المغرب والمشرق وكانت الطرق البرية والبحرية تؤدي إليها، ومن مصر تتفرع الطرق إلى بقاع المشرق شرقا وجنوبا، وكانت الإسكندرية[3] والقاهرة أهم حواضر مصر، دون إغفال أهمية حواضر أخرى كالفسطاط ودمياط، وقلما نجد رحلة مغربية لم تذكر هاتين الحاضرتين القاهرة والإسكندرية ومن وجد فيهما من العلماء الذين تواصل معهم علماء المغرب، وقصدهم طلبة العلم المغاربة وأخذوا عنهم القراءات والتفسير، كعالم القراءات عثمان بن سعيد الشهير بورش المتوفي سنة 197 هـ/812م[4] الذي تنسب إليه قراءة ورش، وفي الفسطاط كان الإخباري والمؤرخ أبو محمد عبد الملك بن هشام العراقي البصري المتوفي بمصر سنة 213هـ/828م[5] وهو مؤلف كتاب السيرة النبوية المعروف بسيرة ابن هشام. وتمثلت المراكز العلمية في حواضر مصر بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، الذي كانت تعقد فيه المجالس العلمية وتلقى فيه الدروس، ولقد جلس للتدريس فيه الإمام الشافعي المتوفي سنة 204هـ/819م، وكذلك

---

[1] أندريه ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، تر. لطيف فرج، دار الفكر، القاهرة، د. ت، ص. 47 وما بعدها.

[2] طه عبد العزيز الخطيب وآخرون: مراكز الحضارة الإسلامية، ط.2، دار الاتحاد التعاوني للطباعة، القاهرة، 2009 ص. 201 وما بعدها.

[3] تعتبر الإسكندرية أول مدينة مصرية ظهرت فيها المدارس في العصر الوسيط. جمال الدين الشيال: تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص.45.

[4] ورش: أصله من القيروان ولد وتوفي بمصر وسمي بورش لشدة بياضه. الحموي، شهاب الدين بن عبد الله: معجم الأدباء وإرشاد الأريب في معرفة الأديب، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج.4، ص. 1601.

[5] ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، د.ت ، ج.3، ص. 177.

جامع الأزهر الذي بناه الفاطميون في القاهرة سنة 359هـ/ 970م، وكان في البداية بهدف تدريس ونشهر المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى غاية سقوط الدولة الفاطمية، وكذلك دار العلم التي بناها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة 395هـ/ 1005م، و في العصر المملوكي كثرت المدارس وانتشرت خاصة في القاهرة.

كانت حواضر مصر ومراكزها العلمية مقصدا لطلبة العلم وللعلماء المغاربة والأندلسيين[1] لوقوع مصر في طريق الحج، ولوكنها بوابة المشرق، ولظروف عاشها المغرب كانت مصر أيضا مقصدا للعلماء المغاربة والاندلسيين، حيث استقروا فيها وتوفوا فيها مثل الفقيه أحمد بن زياد بن عبد الرحمان اللخمي المتوفي سنة 205هـ/ 820 م وكذلك عبد الله بن محمد بن القاسم المتوفي سنة 352هـ/ 963م.

حواضر الحجاز[2]:

مكة المكرمة:

لمكة المكرمة في وجدان المسلمين في كل العصور مكانة خاصة، ففيها مولد نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وفيها مبعثه وبداية الدعوة قبل أن يهاجر إلى المدينة المنورة، وكانت مكة المكرمة أهم حواضر المشرق التي كان يقصدها المغاربة ففيها يؤدى الركن الخامس في الإسلام وهو الحج وإليها تشد الرحال من جميع أنحاء العالم الإسلامي لأداء هذه الشعيرة

[1] طه عبد العزيز الخطيب: مرجع سابق، ص. 289.

[2] طه عبد العزيز وآخرون: مرجع سابق، ص. 47.

فينعقد فيها خلال موسم الحج أكبر تجمع وملتقى للمسلمين، وكان من ضمن الحجاج العلماء وطلبة العلم فيستغلون هذه المناسبة وتنعقد حلقات العلم في المسجد الحرام الذي كان مركزا علميا كبيرا لا يخلو أبدا من حلقات العلم التي كانت تلقى فيها الدروس وخاصة العلم الشرعي كالتفسير و الحديث والفقه[1]، ولم تقتصر حلقات العلم على المسجد الحرام فقط بل كانت تنعقد في مساجد مكة المختلفة وفي بيوت الفقهاء من أهلها والفقهاء الوافدين والمقيمين فيها. ولم ينقطع توافد المسلمين من جميع ارجاء العالم الاسلامي على مكة لأداء فريضة الحج وخاصة المغاربة الذين قصدوها وتلقوا فيها العلم، ومنهم من كان يقضي فيها المدة الطويلة مجاورا للبيت الحرام متلقيا العلم على أيدي العلماء، فيقيم سنين عديدة ثم يرجع الى بلاده، ومنهم من يتوفى فيها، ومن الأمثلة على الفقهاء والعلماء المغاربة الذين جاوروا بمكة لسنوات طويلة الفقيه الأندلسي عبد الله بن وهب الطليطلي المتوفي سنة 301هـ/ 914م الذي جاور لمدة احدى عشر سنة كاملة.[2]

وتميز التدريس في مكة بتعدد حلقاته حيث كان لكل مذهب ركن في المسجد الحرام تقام فيه الصلاة وتنعقد فيه الحلقات، فكان للمالكية ركن، وللأحناف ركن، وللشافعية ركن وللحنابلة ركن، ولم يكن للتدريس منهج معين وللشيخ المدرس كامل الحرية في تقرير الدرس والمنهج

[1] طرفة العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة بين القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1996، ص.53.

[2] ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد: (ت. 403هـ/ 1013م): تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، 1989 ص.221.

الملائم له، وكانت الدروس تلقى خارج أوقات الصلاة وبشكل يومي، ومع الدروس كانت تجري المناظرات بين العلماء المقيمين وبين العلماء المجاورين والوافدين لأداء فريضة الحج.[1]

ولم يقتصر التدريس في مكة على المسجد الحرام، بل تعداه إلى مساجد المدينة الأخرى وإن كانت أقل أهمية وقيمة ونشاط ديني وتعليمي من المسجد الحرام، إذ مثلت هذه المساجد الثانوية بالإضافة إلى ربط مكة، التي كانت مقارا لإقامة الحجيج الوافدين من أصقاع العالم الإسلامي، والتي بنيت في جنبات مكة أساسا لهذا الغرض، وحرص بناتها من المغاربة والمشارقة من العلماء والأمراء على تخصيص الأوقاف لها لتوفير الراحة لنزلائها، واحتوت هذه الربط على المكتبات التي ضمت مختلف الكتب في شتى العلوم ليطلع عليها ويستفيد منها طلبة العلم، وكان للمغاربة نصيب من هذه الربط التي حملت اسمهم وعرفت برباط المغاربة.[2]

المدينة المنورة:

والمدينة المنورة هي ثاني أهم حواضر الحجاز، فلقد هاجر إليها النبي من مكة، وكانت عاصمة الاسلام السياسية والثقافية طيلة عهده وعهد خلفائه الراشدين، ولعب المسجد النبوي فيها دورا هاما في نشر علوم الدين وتخرج منه العلماء والفقهاء، وكان مقصدا للكثير من طلبة العلم من أنحاء العالم الإسلامي وخاصة المغاربة منهم، ورغم انتقال العاصمة السياسية لدولة

[1] العبيكان المرجع السابق، ص. 55.

[2] العبيكان: المرجع السابق، ص.65.

الاسلام من المدينة المنورة الى مدن أخرى إلا أنها ظلت عامرة يقصدها الحجيج للزيارة ويلتقي فيها العلماء للتدريس في المسجد النبوي.

وعرفت المدينة بعلمائها، واشتهر منهم التابعي أبو عثمان ربيعة الرأي التيمي المتوفي سنة 136هـ/ 573م، وعنه أخذ الإمام مالك بن أنس الفقه، وزيد بن أسلم العمري المتوفي سنة 136هـ/ 654م، الفقيه المفسر الذي كانت له حلقة بالمسجد النبوي، ومن أشهر علماء المدينة على الإطلاق الإمام مالك بن أنس، الذي لقب بإمام دار الهجرة، وإمام أهل المدينة والحجاز وهو صاحب المذهب المالكي.[1]

وأولى المغاربة المدينة أهمية خاصة، فكانت مقصدهم منذ استقرار الفتح وانتشار الاسلام في بلاد المغرب، يقصدونها في موسم الحج للزيارة، ويجاور بها العديد منهم ليجد الفرصة للقاء العلماء والأخذ عنهم، وارتبط المغاربة بأشهر فقهائها ألا وهو الإمام مالك بن أنس الذي كان مرجعهم في الفقه حتى انتشر مذهبه بينهم وعم جميع ارجاء المغرب، وبعد وفاة الإمام مالك بقي ارتباط المغاربة بالمدينة لتلقي العلم عن تلاميذه، ويفسر لنا ابن خلدون اسباب هذا الارتباط فيقول: ((... وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار علم، ولم يكن العراق في طريهم فاقتصروا

[1] عبد السلام حافظ: المدينة المنورة في التاريخ، منشورات نادي المدينة المنورة، ط.3، 1982، ص.150.

على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته...)).[1]

وممن اشتهر بالعلم وطلبه من المغاربة والتقى الامام مالك بن انس في المدينة المنورة الفقيه المفسر العالم بالقراءات عبد الرحمان بن موسى الهواري الذي رحل الى المشرق في عهد عبد الرحمان الداخل، وظلت رحلات المغاربة مستمرة لا تنقطع الى المدينة المنورة، فهذا عبد الرحمان بن دينار بن واقد المتوفي سنة 201هـ/ 816م وأخوه عيسى بن دينار المتوفي سنة 212هـ/ 827م، ومحمد بن موسى المؤذن المتوفي سنة 381هـ/ 991م وهم من علماء الأندلس فقهائها كانت لهم رحلات ومجاورات لتلقي العلم في المدينة المنورة.[2]

حواضر الشام والعراق[3] واليمن:

لم تكن حواضر الشام والعراق واليمن في طريق رحلة المغاربة إلى الحج، فإن خط رحلتهم كان يصل إلى مصر ومنها يتفرع طريقان، طريق إلى عيذاب ومنها إلى جدة عبر بحر القلزم ومنها إلى مكة، وطريق إلى عقبة أيله[4] ومنه جنوبا إلى المدينة المنورة في الحجاز، وكان هذا الطريق هو طريق عودتهم بعد أداء فريضة الحج للعودة إلى بلدانهم في المغرب والأندلس، ألا أن بعض

[1] ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد: المقدمة، دار يعرب، دمشق، 2004، ج.3، ص. 954.

[2] ابن الفرضي (ت. 403هـ/ 1013م): تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989 ص. 95 وما بعدها.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1076، ص. 111 وما بعدها.

[4] مدينة في جنوب الأردن الحالي.

الحجاج المغاربة من العلماء وطلبة العلم يجدونها فرصة مناسبة للتوجه إلى حواضر العراق ولقاء العلماء في بغداد والبصرة والموصل، و المطالع لكتب تراجم علماء المغرب والأندلس يجد عددا منهم زار أثناء رحلته الحجية مدن العراق، مثل عالم الحديث إبراهيم بن نصر الجهني الأندلسي القرطبي المتوفي سنة 287هـ /899م الذي دخل العراق وسمع من علمائه[1]، والفقيه محمد بن سيار القرطبي المتوفي سنة 327هـ/ 938م رحل إلى المشرق ودامت رحلته أكثر من أربعة أعوام زار خلالها البصرة وسمع من علمائها وكذلك الكوفة وبغداد، والفقيه إبراهيم بن بكر بن عمران الذي وصلت رحلته إلى الموصل في شمال العراق وسمع من علمائها[2].

وتتيح لنا بعض المصادر التي ترجمت لعدد من العلماء، أن نتعرف على حواضر مشرقية أخرى كان المغاربة يزورونها للقاء علمائها والاستفادة منهم، ومنها حواضر اليمن صنعاء وعدن وحواضر الشام كبيت المقدس، وغزة، وعسقلان، وطبرية، ودمشق، وطرابلس، وصيدا وبيروت، وصور، وهذه الحواضر ذكرها ابن الفرضي في ترجمته للعالم الفقيه المحدث محمد بن يحي بن مفرج المتوفي سنة 380هـ/ 990م[3].

[1] ابن الفرضي: مصدر سابق ، ص.12.

[2] المصدر نفسه، ص.23.

[3] ابن الفرضي: مصدر سابق، ، ص. 92.

المحور السادس:

العمارة الإسلامية مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق الإسلامي

العمارة الإسلامية

العمارة الإسلامية هي أحد مظاهر الحضارة التي ميزت التاريخ الإسلامي ولا تزال هذه العمارة إلى الآن شاهدة على عظمة هذه الحضارة وإنسانيتها، ولم تقتصر تلك العمارة على المساجد والمنازل فقط، بل امتدت لتشمل المدارس والأسبلة وحتى القلاع والحصون مما يدل على اهتمام الحضارة الإسلامية بكافة مناحي النشاط الاقتصادي والاجتماعي وأيضا الحربي، وجمعت العمارة الإسلامية بين مختلف أشكال الفنون الأخرى للدرجة التي اعتبر اليونانيون معها أن العمارة الإسلامية هي أم الفنون.[1]

أما دور العمارة التواصل الثقافي والفكري بين المشرق والمغرب فقد شهدت بلاد المغرب في المراحل الأولى انتشار العمارة الإسلامية، من خلال بناء المدن والمؤسسات الدينية، خاصة وأن بعض القادمين من المشرق وخاصة الذين أسسوا دولا في المغرب حاول نقل المؤثرات المشرقية إلى بلاد المغرب، وأبرزهم عبد الرحمان الداخل الذي عمل على نقل كل الخصوصيات المعمارية المشرقية من دمشق، فعرفت الأندلس تطورا عمرانيا كبيرا أصبح النموذج لباقي مناطق المغرب خاصة في القصور والمساجد والقباب.

وبعد ضعف الدولة الإسلامية في الأندلس وهجرة الأندلسيين إلى بلاد المشرق انتقلت خصوصيات العمارة الإسلامية إلى المشرق عن طريق هؤلاء المهاجرين، حيث كان منهم المهندسون والحرفيون والفنانون، وهذا ما جعل بعض الحكام يستخدمونهم في البناء والزخرفة.

[1] بديع العابد: العمارة العربية الإسلامية ، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2022، ص. 79 وما بعدها.

تطور فن العمارة بالغرب الإسلامي:

يبرز ازدهار الفن المعماري ببلاد المغرب من خلال العمارة الدينية والمتمثلة في المساجد والجوامع والرباطات والعمارة المدنية المتكونة من القصور والمنازل والمنشآت المائية الكبرى.

– المساجد والجوامع[1]:

مثلت عمارة المساجد بين المشرق والمغرب، مظهرا من مظاهر الوحدة المعمارية والتأثيرات الفنية المتبادلة بين المساجد في المشرق والمغرب الإسلاميين، والثابت تاريخيا أن المغاربة وفدوا إلى المشرق الإسلامي على هيئة حجاج، وطلبة علم، وتجار، وزائرين خلال العصور الإسلامية، وأصبحت مصر، والحجاز خلالها من أهم أقطار المشرق بالنسبة للمغاربة، وقد انتقلت التأثيرات المعمارية والفنية بين عمارة المساجد في المشرق والمغرب من خلال العديد من المنافذ مثل مدينة الإسكندرية والقاهرة، ومكة والمدينة من خلال رحلات الحج، والمجاورة، بالإضافة إلى التجارة بين المشرق والمغرب، وكان لذلك أثر كبير في التأثيرات المتبادلة في عمارة المساجد، فظهرت التأثيرات المشرقية في عمارة المساجد المغربية، كما تأثرت المساجد في مشرق العالم الإسلامي بخصائص حضارة المغرب والأندلس، وتحققت الوحدة في عمارة

[1] أنظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، دار النهضة المصرية القاهرة، 1996، ج. 4، ص. 582 وما بعدها.

المساجد من حيث وجود الفناء الأوسط المكشوف، وبيت الصلاة، وكذلك تنوعت خصائصها المعمارية وتفرعت في خصائصها الزخرفية بين المشرق والمغرب[1].

وقد تأثر الطراز المغربي في بناء المساجد بالمسجد النبوي في المدينة المنورة، كما تميز الطراز المغربي بخصوصياته من اتساع بيت الصلاة الذي يتكون من بلاطات عمودية أو موازية لجدار القبلة، وصحن مكشوف، وكثرة الأعمدة أو الأكتاف الحاملة للسقوف، بالإضافة إلى الأسقف الهرمية، والمآذن المربعة، والتوسع في استعمال الأقواس المدببة أو حدوة الحصان، وتزيين الجدران بالجص المنقوش مع الاهتمام بالرواق المؤدي إلى المحراب، والاكتفاء بعدد قليل من القباب الصغيرة فوق الرواق الأوسط، وبذلك استمدت المساجد المغربية الجامعة الأولى تصميمها من أول نموذج معماري جمع كل العناصر الأساسية للمسجد متمثلا في عمارة المسجد النبوي الشريف[2].

وساعد التواصل المباشر عن طريق الرحلات الحجية والعلمية والتجارية في عبور التأثيرات الفنية المغربية إلى عمارة المساجد المشرقية، والتأثيرات المشرقية إلى بلاد المغرب والأندلس ويعود الفضل في حركة التأثيرات المتبادلة بين المشرق والمغرب إلى المغاربة، وذلك نتيجة لرحلاتهم الحجازية، حيث دونت على أيدي المغاربة والأندلسيين أقدم الرحلات الحجازية

[1] صلاح أحمد البهنسي: عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، د. ت، ص. 7 وما بعدها.

[2] عفيف بهنسي: الفن الإسلامي في بداية تكونه، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1983، ص. 14.

ولهذا جاءت مدونات هؤلاء الرحالة كسجلات ووثائق للجوانب الحضارية في عمارة المساجد في المشرق الإسلامي.

شيدت المساجد والجوامع في جميع مناطق المغرب الإسلامي بالأرياف والمدن، ويعتبر مسجد القيروان أول المساجد ببلاد المغرب، شيّد على مراحل عديدة وتم توسيعه عدة مرات. تنقسم قاعة الصلاة إلى سبعة عشر بلاطة أعرضها البلاطة الوسطى التي تؤدي إلى المحراب، ويقوم الجامع على أعمدة تعلوها تيجان ومسندات خشبية وحوامل عقود وعقود تضمن الإضاءة والتهوية ويضم الجامع قبة المحراب وقبة البهو ومنارة قاعدتها ذات شكل مربع تعلوها قبة. أما المحراب فتغطيه لوحات رخامية تعلوها الزخارف الجصية والخشب المذهب.[1]

الرباطات:

يختلف معنى الرباطات في المشرق الإسلامي عنه في الغرب الإسلامي، والرباطات جمع رباط ويقصد في الشرق الإسلامي البيوت التي كان يقيم بها الفقراء ويتفرغون للعبادة والتعليم[2]. أما الرباط في المغرب الإسلامي فهو ثكنة عسكرية ذات صحن واسع تحيط به غرف وقد يكون على طابق واحد أو على طابقين تعلوه صومعه مستديرة للأذان وخصوصا لمراقبة السواحل واتقاء للغارات البحرية الموجهة من طرف أساطيل الروم. الرباط منشأة دينية وتعليمية

[1] حول جامع القيروان وعمارته أنظر بحث إسماعيل محروق: العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي من القرن 7هـ حتى القرن 10هـ/ 13م حتى 16م، دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان 2017/ 2018، ص. 289 وما بعدها

[2] محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، 1987القاهرة، ص. 303.

وعسكرية تبنى على السواحل لمراقبتها من الغزوات البحرية وكانت الرباطات عبارة عن حصون دفاعية تتكون من عدة غرف ومسجد وتوجد أبراج دائرية في زواياه ويحتوي كل رباط على منارة مستديرة الشكل. وأدى قرب سواحل بلاد المغرب من الجزر البيزنطية والفرنجية إلى ظهور هذه الرباطات[1] ومن أوائلها وأهمها ما شيد على ساحل المغرب الأدنى في كل طرابلس وتونس وسوسة والمنستير ثم انتشرت في سائر بلاد المغرب لصد هجمات البيزنطيين وغاراتهم على المدن الساحلية

فالرباط حصن دفاعي أخذ تسميته من مرابطة المجاهدين في سبيل الله فيه. فكان هؤلاء المجاهدون يرابطون فيه ويقضون يومهم وليلهم في العمل أو العبادة. وجميع الرباطات في المغرب العربي بنيت على ساحل البحر، وكانت تتصل بعضها البعض بواسطة العلامات النارية أو الحمام الزاجل. وكان لكل رباط من الرجال رباط النساء، يتعبدن فيه ويساعدن الرجال في الأشغال الفلاحية وغيرها. وكان المرابطون يقومون بعدة أشغال منها صنع الورق والحبر وهما لازمان لما كانوا يقومون به من نسخ المصاحف وكتب الفقه والحديث. وكان المؤلفون وأصحاب التصانيف يعطون مؤلفاتهم الأصلية التي كتبوها بخط أيديهم إلى الرباطات لتنسخ منها نسخ أخرى ويحتفظ بالأصل للرجوع إليه عند الالتباس. وكان المرابطون يقومون بنسخ الكتب وتوزيعها على طلاب العلم مجانا.

[1] حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة المعارف، بيروت، 1980، ص. 263.

وكان الرباط مدرسة يؤمها العلماء والطلبة، وكان العلماء يرابطون فيها فترة من العام قد تكون شهرا ليدرسوا العلم احتسابا لوجه الله. كما كان الطبيب يرابط أيضا فترة من أجل مداواة المرضى، وكذلك رجل البريد. فالكل يرابط من أجل الجهاد في سبيل الله. وفي كل رباط مكتبة مقامة في الجدار على هيئة طاقات في الحائط بها النسخ الأصلية والفرعية للمؤلفات والتصانيف. وأقدم الرباطات التي شيدها العرب بإفريقية هو رباط المستنير، الذي بناه الأمير هزيمة بن أيمن والي القيروان سنة 181هـ وهو ما زال قائما حتى اليوم، ومن الرباطات الأخرى الموجودة حتى الآن رباط سوسة والرباط الأعلى والرباط الأسفل بتونس.[1]

القصور[2]:

يعتبر تشييد القصور في المغرب والمشرق دليلا على أوج الرخاء الاقتصادي والرقي الاجتماعي الذي تحقق في العالم الإسلامي خاصة للحكام والسلاطين والأثرياء المقيمين في المدن، وفي بلاد المغرب يمثل قصر الصحن برقادة[3] بنواحي القيروان نموذجا لتطور بناء القصور في بلاد المغرب محاكيا لتطورها في المشرق، حيث كان هذا القصر يتكون من مائة وتسع (109) غرفة، ويحيط به سور ضلعه مائة وأربعة (104) أمتار. كما تعددت القصور بفاس

[1] مرسي: المرجع السابق، ص. 303.

[2] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص. 565؛ بديع العابد: المرجع السابق، ص. 137.

[3] الحميري الروض المعطار ص 476

وسجلماسة وكذلك بمدن الأندلس وأشهرها قصر الزهراء[1] بقرطبة، ولا تزال آثار هذه القصور قائمة إلى اليوم.

و الملاحظ على القصور في بلاد المغرب هو أن أغلب أسمائها في العهد الأغلبي هي ذات أصول مشرقية، وهي مستوحاة من أسماء قصور في العراق والشام بالمشرق كالرصافة والفردوس، سامراء، المختار، العروس، حتى أن أحد القصور سمي بالخورنق وهو اسم أحد قصور المناذرة قبل الإسلام.

وتميزت العمارة المغربية بالشبه بنظيرتها المشرقية، في مجال الزخرفة كالنقوش، والعقود، والأعمدة والتيجان، والحنيات، وكانت هذه الأشكال الفنية تنحت وتنقش على الرخام، والحجارة والجص، والخشب، إضافة إلى الرسوم والألوان التي زينت المواد الخزفية، وتكونت من أشكال طبيعية مثل ورق العنب، والبراعم، وجريد النخل، إضافة على الأشكال الهندسية كالضفائر المعقدة، والحروف العربية المكتوبة بالخط الكوفي.[2]

[1] طه عبد العزيز الخطيب: مرجع سابق، ص. 347.

[2] حول خصائص العمارة في بلاد المغرب أنظر: صلاح أحمد البهنسي: عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، د. ت.

مصادر ومراجع:

:1ـ مصادر:

1-ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972.

2-الإصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد)ت. 346هـ/ 957م(المسالك والممالك تح. محمد جابر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت.

3- ابن بشكوال)ت. 578هـ/ 1083م(: الصلة، تح. ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، القاهرة بيروت، 1989.

4-البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز) 478هـ/ 1085م (: المسالك والممالك، تح. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

5-ابن تيمية، تقي الدين (ت 728هـ): مجموع الفتاوي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الرياض السعودية، .2001

6- الحموي، شهاب الدين ياقوت)ت. 626هـ/ 1229م (: معجم البلدان، ط. 2، دار صادر، بيروت، .1995

7- الحموي، شهاب الدين بن عبد الله: معجم الأدباء وإرشاد الأريب في معرفة الأديب تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د. ت.

8-ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت. 377هـ/ 988م)، صورة الأرض، ليدن، هولندا 1938.

9- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله)ت. 280هـ/ 893م(: المسالك والممالك، دار صادر أفيست ليدن، بيروت 1889.

10-ابن خلدون، عبد الرحمان بن محد: المقدمة، دار يعرب، دمشق، 2004

11-ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد)ت. 808هـ/: المقدمة، تح. عبد الله محمد الدرويش دار يعرب، د. م 2004.

12- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، د.ت ، ج.3.

13-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي)ت. 910هـ/ 1505م(: بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.

14-ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي بيروت، د.ت.

15-الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك)ت. 764هـ/ 1362م(: الوافي بالوفيات، تح. أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار التراث العربي، .2000

16-العبدري، محمد البلنسي)ت. 720هـ/ 1320م(: الرحلة المغربية، بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007.

17-ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/ 870م): فتوح افريقيا والاندلس تح. عبد الله أنيس الطباع مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

18-العمري، ابن فضل الله أحمد بن يحيى) ت. 750هـ/ 1349م (: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح. كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.

19-ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت. 695هـ/ 1296م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت 1983.

20-الغبريني، أبو العباس أحمد (ت. 714هـ/ 1314م): عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979

21-ابن الفرضي (ت. 403هـ/ 1013م): تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، 1989.

22ـ ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكرياء (ت. 395هـ/ 1004م): معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، د. ت، مج.1.

23-القاضي عياض، بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية بيروت، 1998.

24- القلصادي أبو الحسن علي (ت. 891/ 1486م): رحلة القلصادي، تح. محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، .1978

25-مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1985.

26-المقدسي، أبو عبد الله محمد (ت. 380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مكتبة مدبولي، القاهرة، دار صادر، بيروت، د. ت.

27- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت. 380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003

28ـ ابن مريم، أبو عبد الله بن أحمد)كان حيا سنة 1014هـ/1605م(: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح. محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986.

29-المقري، أبو العباس أحمد بن محمد) ت.1041هـ/1631م (: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح. يوسف الشيخ ومحمد البقاعي دار الفكر العربي بيروت، لبنان، 1998.

30-ابن منظور، لسان العرب، تح. عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

31ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (711هـ/ 1311م): لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، د. ت، ج.9.

32ـ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ج1 ص.197.

33ـ الوزان، الحسن بن محمد الفاسي)ت، 960هـ/ 1554م(: وصف افريقيا، ط.2 تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج.1.

34-الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت. 914هـ/ 1508م): المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء أهل إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981.

35- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت. 284هـ/): البلدان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2002.

2ـ مراجع:

1- إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب إلى القرن العاشر، دار الرشاد الحديثة الدار البضاء، المغرب، 2000.

2-أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، السعودية، د. ت.

3ـ إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ت

4- أندريه ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، تر. لطيف فرج، دار الفكر، القاهرة، د. ت.

5-بديع العابد: العمارة العربية الإسلامية ، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، .2022

6-جمال الدين الشيال: تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة د.ت.

7-جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر. محمود عبد الصمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، .1999

8-حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، دار النهضة المصرية القاهرة، 1996، ج. 4.

9-حسن الشافعي: فصول في التصوف، دار البصائر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة 2007.

10-حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة المعارف، بيروت، .1980

11ـ حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978،

12-حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، الإسكندرية، مصر، 2004.

13-حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب ، القاهرة، د. ت.

14-خالد بن ناصر العتيبي: الطريقة الشاذلية، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 2011.
15-خالد ضو، مظاهر الحركة العلمية في الدولة الزيانية وآثارها، مجلة الذاكرة، مج. 5، عدد.2 جامعة الجزائر، 2022.
16-سعدون عباس عبد الله: دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية، بيروت 1987.
17-سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط. 2، دار النهضة العربية القاهرة، 1076.
18-سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط. 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1999.
19-السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، مصر، 1985.
20-عبد السلام حافظ: المدينة المنورة في التاريخ، منشورات نادي المدينة المنورة، ط.3، 1982
21-عبد الحكم عبد اللطيف: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب .1996
22-عصام الدين عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت
23-عبد العزيز الدولاتي: مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سراس للنشر، تونس 1981

24-عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد بغداد، 1967.

25-عبد الرحمان علي الحجي: هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، المجمع الثقافي. أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003.

26-عبد العزيز عبد الرحمان: الجغرافيا الحضارية في المشرق الإسلامي، الدار العربية للعلوم بيروت، 2011.

27-عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، 1996.

28-طرفة العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة بين القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1996.

29-طه عبد العزيز الخطيب وآخرون: مراكز الحضارة الإسلامية، ط.2، دار الاتحاد التعاوني للطباعة، القاهرة، 2009.

30-فيلالي، عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، د.د، الجزائر، 2002.

31-فوزية سعاد بوجلابة، المجمع المعماري أولاد الإمام في عصر السلطان أبي حمو موسى الأول بتلمسان، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 05 العدد 01، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2011.

32-محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، 1988.

33-محمد جابر الأنصاري: التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

34-محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، 1988.

35-محمد بن عميرة: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008.

36-محمد لخضر عولمي، المدرسة التاشفينية، بتلمسان جوهرة الفن الزياني، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5 العدد 2 ديسمبر 2021.

37-محمد موسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت 1987.

38-موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط. 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

39-موريس لومبارد: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمان حميدة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، 1998.

40ـ محمود إسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط. 2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985.

41- مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب، ط. 15، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، د. ت.

42- ميشال عاصي، إميل بديع: المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1978، ج. 1.

43-هنري تشارلز لي: العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة، تر. حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1988.

44-يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط،، وزارة الثقافة، الجزائر،2007.

45-يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري بالمغرب، دار لسان العرب، بيروت، د. ت.

46ــ يوسف البراشدي: حملة العلم إلى المغرب ودورهم في الدعوة الإسلامية، دار الجيل بيروت، د. ت

47ــ Brunshrik: deux récits de voyage inédits en Afrique du- nord au XVéme siècle, Abdel-Basit. B, Larose,éditeurs, Paris, 1936. يتضمن الكتاب النص العربي للرحلة

فهرس المحتوى

رقم	العنوان	الصفحة
1	أهداف المادة	2
2	محتوى المادة	2
3	حول المادة والمصادر والمراجع	8
4	تمهيد	9
5	المحور الأول	11
6	المحور الثاني	20
7	المحور الثالث	30
8	المحور الرابع	51
9	المحور الخامس	60
10	المحور السادس	81
11	مصادر ومراجع	89